كتاب الشفاء

الشفا في تعريف حقوق المصطفى

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

أخبرنا شيخنا وسيدنا الفقيه الشيخ الإمام العالم العلامة العمدة المتقن صدر المحدثين
عمدة المحققين زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد المنذر فسح الله في مدته
وأمده برحمته قال حدثنا الفقيه الأجل الفاضل أبو الحسين بن جبير الكناني الأندلسي
بقراءتي عليه بجميعه وقراءة علي بجميعه وأنا أسمع قال حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي محمد
بن الفقيه عبد الله محمد بن عيسى التميمي إجازة حدثنا الإمام الحافظ القاضي أبو الفضل
عياض بن موسى بن عياض سماعا منه قال القاضي الفقيه الإمام الحافظ أبو الفضل
عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه وأرضاه الحمد لله المنفرد باسمه الأسمى
المختص بالملك الأعز الأحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما
والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما وأسبغ على أوليائه نعما عما وبعث فيهم
رسولا من أنفسهم عربا وعجما وأزكاهم محتدا ومنمى وأرجحهم عقلا وحلما وأوفرهم
[illegible] ما وأشدهم بهم رأفة ورحمى وزكاه روحا وجسما وحاشاه
عيبا [illegible] مة وحكما وفتح به أعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما فآمن به
وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن آياته
من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى صلى الله عليه
وسلم صلاة تنمو وتنمى وعلى آله وسلم تسليما أما بعد أشرق الله قلبي
وقلبك بأنوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لأوليائه المتقين الذين
شرفهم الله بنزل قدسه وأوحشهم من الخليقة بأنسه وخصهم من معرفته ومشاهدة
عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة ووله عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا

همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره مشاهدا فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون
وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعززون
لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فإنك كررت علي السؤال
في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يجب له من توقير
وإكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر أو قصر في حق منصبه
الجليل قلامة ظفر وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال وأبينه
بتنزيل صور وأمثال فاعلم أكرمك الله أنك حملتني من ذلك أمرا إمرا وأرهقتني
فيما ندبتني إليه عسرا وأرقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا ملأ قلبي رعبا فإن الكلام
في ذلك يستدعي تقرير أصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقائق من علم
الحقائق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف إليه أو يمتنع أو يجوز عليه
ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة
العلية وهاهنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطى ومجاهل تضل
فيها الأحلام إن لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها الأقدام
إن لم تعتمد على توفيق وتأييد لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال
والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه
التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي
هو أرفع الحقوق ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين
آمنوا إيمانا ولما أخذ الله تعالى على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس
ولا يكتمونه ولما حدثنا به أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله تعالى
بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد حدثنا
أبو عمر النمري حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر محمد بن بكر

حدثنا سليمان بن الأشعث حدثنا موسى بن إسمعيل حدثنا حماد
حدثنا علي بن الحكم عن عطاء رحمه الله عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله تعالى
بلجام من نار يوم القيمة. فبادرت إلى نكت سافرة عن وجه الغرض،
مؤديا من ذلك الحق المفترض، اختلستها على استعجال، لما المرء بصدده
من شغل البدن والمال، بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي بها
فكادت تشغل عن كل فرض ونفل، وترد بعد حسن تقويم إلى أسفل سفل، ولو أراد
الله بالإنسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا أو لا يذم محله فليس
ثم سوى نضرة النعيم، أو عذاب الجحيم، ولكان يخويصته، واستنقاذ مهجته،
وعمل صالح يستزيده، وعلم نافع يفيده أو يستفيده، جبر الله تعالى
صدع قلوبنا، وغفر عظيم ذنوبنا، وجعل جميع استعدادنا لمعادنا،
وتوفر دواعينا فيما ينجينا، ويقربنا إليه تعالى زلفى ويحظينا،
بمنه ورحمته، ولما نويت تقريبه، ودرجت تبويبه،
ومهدت تأصيله، وخلصت تفصيله، وانتحيت حصره وتحصيله، ترجمته
بالشفا، بتعريف حقوق المصطفى، صلى الله عليه وسلم
وحصرت الكلام فيه في أقسام أربعة
القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى، لقدر هذا
النبي صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا، وتوجه الكلام
فيه في أربعة أبواب. الباب الأول في ثنائه تعالى
عليه وإظهاره عظيم قدره لديه، وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في تكميله تعالى له

المحاسن

المحاسن خلقا وخلقا، وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه نسقا، وفيه سبعة وعشرون فصلا
الباب الثالث فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها
بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين
من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا. الباب الرابع فيما
أظهره الله تعالى على يديه وشرفه به من الخصائص والكرامات
وفيه ثلثون فصلا. القسم الثاني فيما يجب على الأنام
من حقوقه عليه السلام ويترتب القول فيه في أربعة
أبواب. الباب الأول في فرض الإيمان به ووجوب طاعته
واتباع سنته وفيه خمسة فصول. الباب الثاني في لزوم
محبته ومناصحته وفيه ستة فصول. الباب الثالث
في تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره، وفيه سبعة فصول. الباب
الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته
وفيه عشرة فصول. القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه
وما يمتنع وما يصح من الأمور البشرية أن تضاف إليه، وهذا القسم أكرمك الله
هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الأبواب، وما قبله له كالقواعد والتمهيدات
والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات، وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من
غرض هذا التأليف وعده، وعند تقصي لموعده، وتفصيي عن عهدته
يشرق صدر العدو اللعين، ويشرق قلب المؤمن باليقين، وتملأ
أنواره جوانح صدره، ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم
حق قدره، ويتحرر الكلام فيه في بابين. الباب الأول فيما يختص بالأمور الدينية

ويتثبت به الكلام في العصمة وفيه ستة عشر فصلا • الباب الثاني
في أحوالهم الدنيوية وما يجوز طروه عليهم من الأعراض البشرية • وفيه تسعة
فصول القسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام على من
تنقصه أو سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين
الباب الأول في بيان ما هو في حقه سب أو نقص من تعريض أو نص • وفيه
عشرة فصول الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه • ومتنقصه
وعقوبته • وذكر استتابته • والصلاة عليه ووراثته • وفيه عشرة فصول
وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة • ووصلة للبابين اللذين
قبله • في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي وصحبه
صلى الله عليه وسلم واختصر الكلام فيه في خمسة فصول • وبتمامها
ينتجز الكتاب • وتتم الأقسام والأبواب • ويلوح في غرة الإيمان لمعة منيرة •
وفي تاج التراجم درة خطيرة • تزيح كل لبس • ويوضح كل تخمين
وحدس • ويشفي صدور قوم مؤمنين • ويصدع بالحق
ويعرض عن الجاهلين • وبالله تعالى لا إله سواه أستعين القسم الأول
في تعظيم العلي الأعلى لقدر المصطفى • صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا
قال الفقيه القاضي أبو الفضل رضي الله عنه لا خفاء على من
مارس شيئا من العلم • أو خص بأدنى لمحة من الفهم • بتعظيم الله تعالى
قدر نبينا صلى الله عليه وسلم وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب
لا تنضبط لزمام • وتنويهه من عظيم قدره بما تكل
عنه الألسنة والأقلام • فمنها ما صرح به تعالى
في كتابه ونبه به على جليل نصابه • وأثنى به عليه

من أخلاقه وآدابه • وحض العباد على التزامه • وتقلد إيجابه فكان
جل جلاله هو الذي تفضل وأولى • ثم طهر وزكى • ثم مدح بذلك
وأثنى • ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى • فله الفضل بدءا وعودا • والحمد
أولى وأخرى • ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه
الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة • والأخلاق
الحميدة • والمذاهب الكريمة • والفضائل العديدة • وتأييده
بالمعجزات الباهرة • والبراهين الواضحة • والكرامات البينة
التي شاهدها من عاصره • ورآها من أدركه • وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى
انتهى علم حقيقة ذلك إلينا • وفاضت أنواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا • حدثنا القاضي
الشهيد أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه • ثنا أبو الحسين
المبارك بن عبد الجبار وأبو الفضل أحمد بن خيرون قالا ثنا أبو يعلى البغدادي قال
ثنا أبو علي السنجي قال ثنا محمد بن محبوب ثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ قال ثنا
إسحق بن منصور ثنا عبد الرزاق انا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه
أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه
فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه قال فارفض
عرقا

الباب الأول

في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره عليه السلام لديه • اعلم أن في
كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم
وعد محاسنه وتعظيم أمره وتنويه قدره • اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان
فحواه • وجمعنا ذلك في عشرة فصول • الفصل الأول فيما جاء من ذلك
مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن • كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم

الآية قال السمرقندي وقرأ بعضهم من أنفَسكم بفتح الفاء وقرأه الجمهور
بالضم قال القاضي الإمام أبو الفضل وفقه الله أعلم الله تعالى
المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين
من المواجه بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه
ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب
وترك النصيحة لهم لكونه منهم وأنه لم تكن في العرب قبيلة إلا ولها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة وكونه من أشرفهم وأرفعهم
وأفضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة وأثنى عليه
بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم
في دنياهم وأخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم أعطاه
اسمين من أسمائه رؤوف رحيم ومثله في الآية الأخرى قوله
لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم
الآية وفي الآية الأخرى هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم الآية
وقوله كما أرسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام
في قوله تعالى من أنفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن
آدم سفاح كلنا نكاح وقال جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه
عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته
فأقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة ألبسه من نعته الرأفة
والرحمة وأخرجه إلى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته
فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى وما أرسلناك إلا
رحمة للعالمين قال أبو بكر بن طاهر زين الله محمدا صلى

الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة
على الخلق فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه
والواصل فيهما إلى كل محبوب ألا ترى أن الله تعالى يقول
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته
رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم ومماتي خير لكم
وكما قال إذا أراد الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعله لها سلفا
وفرطا وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والإنس وقيل لجميع
الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالأمان من القتل ورحمة
للكافر بتأخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة للمؤمنين وللكافرين
إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة وحكي
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل أصابك
من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء
الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وروي
عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين أي
بك إنما وقعت سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال
الله تعالى الله نور السموات والأرض الآية قال كعب وابن جبير المراد بالنور
الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله مثل نوره أي نور محمد
وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي أهل السموات والأرض ثم قال
مثل نور محمد إذ كان مستودعا في الأصلاب كمشكاة صفتها كذا وأراد
بالمصباح قلبه والزجاجة صدره أي كأنه كوكب دري لما فيه من
الإيمان والحكمة توقد من شجرة مباركة أي من نور إبراهيم

وضرب مثلاً بالشجرة المباركة وقوله تكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت. وقد قيل
في هذه الآية غير هذا والله اعلم. وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا
الموضع نوراً وسراجاً منيراً فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين. وقال انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً
الى الله باذنه وسراجاً منيراً. ومن هذا قوله تعالى الم نشرح
لك صدرك الى آخر السورة. شرح وسّع والمراد بالصدر هنا
القلب. قال ابن عباس شرحه بالاسلام. وقال سهل بنور
الرسالة. وقال الحسن ملأه حكماً وعلماً. وقيل معناه الم نطهر قلبك
حتى لا يؤذيك الوسواس. ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك. قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة. وقيل اراد
ثقل ايام الجاهلية. وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها
حكاه الماوردي والسلمي. وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب
ظهرك حكاه السمرقندي. ورفعنا لك ذكرك. قال يحيى بن آدم بالنبوة
وقيل اذا ذكرت ذكرت معي يعني قول لا اله الا الله محمد
رسول الله. وقيل في الاذان. قال القاضي رحمه الله هذا تقرير
من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف
منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم
وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور
دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم
وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقرانه مع اسمه اسمه. قال قتادة

رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا
يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله. وروى
ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل
فقال ان ربي وربك يقول اتدري كيف رفعت ذكرك قلت الله
ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي. قال ابن عطاء جعلت
تمام الايمان بذكري معك. وقال ايضاً جعلتك ذكراً من ذكري فمن
ذكرك ذكرني. قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة
الا ذكرني بالربوبية. ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته
بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول وآمنوا بالله
ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام.
حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقرأته
على الثقة عنه ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة
ثنا ابو داود السجستاني ثنا ابو الوليد الطيالسي ثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن
يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما شاء
الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان. قال الخطابي ارشدهم
صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من
سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك.
ومثله الحديث الآخر ان خطيباً خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال
من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب. قال ابو سليمان
كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية

واختارها

وذهب غيره الى انه انما لم الوقوف على بعضهما وقول ابي سليمان
اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى
ولم يذكر الوقوف على بعضهما وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني
في قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي هل يصلون راجعة
على الله تعالى والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلة
التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية ان الله يصلي وملائكته
يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل
جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين روي انه لما نزلت
هذه الآية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى
فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم
وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري
الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته
واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكاه
ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله صراط الذين انعمت
عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى
الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد
وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة
الوثقى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد

وقال

وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته محمد صلى الله
عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الآيتين اكثر
المفسرين على ان الذي جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو
الذي صدق به وقرئ صدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به
المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله
تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحابته

الفصل الثاني في وصفه له تعالى بالشهادة وما تعلق بها من الثناء
والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا الآية جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الاثرة
وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم
الرسالة وهي من خصائصه عليه السلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا
لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق
اخبرنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله نا ابو القاسم حاتم بن
محمد نا ابو الحسن القابسي نا ابو زيد المروزي نا ابو عبد الله محمد
بن يوسف نا البخاري نا محمد بن سنان نا فليح نا هلال عن عطاء
بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرني عن صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجل والله انه لموصوف في التوراة
ببعض صفاته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله

ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وحكي مثله عن عبد الله بن سلام
وكعب الأحبار وفي بعض طرقه عن ابن إسحق ولا صخب في الأسواق ولا متزين
بالفحش ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم ثم أجعل
السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق
والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته
والهدى إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة
وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأسمي به بعد النكرة وأكثر به
بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين
قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت
للناس وفي حديث آخر أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة
عبدي أحمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة أو قال طيبة أمته الحمادون
لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الآية وقد قال تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم الآية قال السمرقندي ذكر الله تعالى منته أنه
جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤوفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول
لتفرقوا من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله
الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول شهيدا عليكم
قال أبو الحسن القابسي أبان الله تعالى فضل محمد نبينا صلى
الله عليه وسلم وفضل أمته بهذه الآية وفي قوله في الآية
الأخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا
شهداء على الناس وكذلك قوله فكيف إذا جئنا من كل أمة

بشهيد

بشهيد الآية وقوله وسطا أي عدلا خيارا ومعنى هذه الآية وكما هديناكم
فكذلك خصصناكم وفضلناكم بأن جعلناكم أمة خيارا عدولا
لتشهدوا للأنبياء على أممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل إن الله
جل جلاله إذا سأل الأنبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول أممهم ما
جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم للأنبياء ويزكيهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الآية إنكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة
عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق
عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم قدم صدق هو محمد
صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن أيضا هي مصيبتهم بنبيهم صلى
الله عليه وسلم وعن أبي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله
عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري هي
سابقة رحمة أودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي
الترمذي هو إمام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب
محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي الفصل الثالث فيما ورد في خطابه
إياه مورد الملاطفة والمبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت
لهم قال أبو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة أصلحك الله وأعزك الله
وقال عون بن عبد الله أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب حكى السمرقندي
عن بعضهم أن معناه عافاك الله يا سليم القلب لم أذنت لهم قال لو بدأ
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم لخيف عليه أن ينشق قلبه
من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى
سكن قلبه ثم قال له لم أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق

في عدده من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي
لب ومن إكرامه إياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته
نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس إلى أن النبي صلى الله عليه
وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما
أذن لهم أعلمه الله أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وأنه
لا حرج عليه في الإذن لهم قال القاضي رحمه الله يجب على المسلم المجاهد
نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه أن يتأدب بأدب القرآن في قوله
وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة
الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال
من رب الأرباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها
من الفوائد وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل
ذكر الذنب إن كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت
تركن إليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الأنبياء
بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ليكون بذلك
أشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر
كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف أن يركن
إليه ففي أثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته ومثله
قوله تعالى قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك
الآية قال علي رضوان الله عليه قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم إنا
لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم
لا يكذبونك الآية وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه

قومه حزن فجاءه جبريل فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال إنهم يعلمون
أنك صادق فأنزل الله الآية ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من
تسليته تعالى له عليه السلام وإلطافه في القول بأن قرر عنده
أنه صادق عندهم وأنهم غير مكذبين له معترفين بصدقه قولا واعتقادا
وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين فدفع بهذا التقرير ارتماض
نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين
فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه من الوصم
وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم إذ الجحد إنما
يكون ممن علم الشيء ثم أنكره كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم
ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده بالنصر بقوله ولقد كذبت
رسل من قبلك الآية فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف وقال الفراء والكسائي
لا يقولون إنك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن
قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك إلى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك
ومما ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع
الأنبياء بأسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا إبراهيم يا داود يا عيسى
يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو إلا يا أيها الرسول يا أيها النبي يا أيها
المزمل يا أيها المدثر

الفصل الرابع

في قسمه تعالى بعظيم قدره صلى الله
عليه وسلم قال الله تعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق أهل التفسير
في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم وأصله
ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد
وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر

والتشريف قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه
من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد
غيره قال ابو الجوزاء ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم
لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف
المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسماء منها طه ويس اسمان له وحكى
ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه
صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه
وسلم وقال هو قسم وهو من اسماء الله وقال الزجاج قيل معناه يا محمد
وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب
يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد
انك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان قرر انه
من اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم
ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى
النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم
الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم
من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم
الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه
وتمجيده على تأويل من قال يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا
سيد ولد آدم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا
البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل

لا زائدة

لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على
التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطي اي نحلف لك
بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة
والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله تعالى وانت حل بهذا البلد
ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله
بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال ووالد
وما ولد من قال اراد آدم فهو عام ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهي
ان شاء الله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم
به في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام
اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري
الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد عليهما السلام وحكى هذا
القول السمرقندي ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد
بهذا القرآن لا ريب فيه ثم فيه من فضيلته قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال
ابن عطاء في قوله ق والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه صلى الله عليه
وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله
وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم لله وقيل هو جبل محيط بالارض وقيل غير
هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله
عليه وسلم وقال النجم قلب محمد هوى انشرح من الانوار [illegible]
انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر
محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان

الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته عنده عليه السلام

قال جل اسمه والضحى والليل إذا سجى السورة اختلف في سبب
نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم
قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام وقيل بل
تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال
القاضي رحمه الله تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له
وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة وجوه الأول القسم له عما أخبره
به من حاله بقوله والضحى والليل إذا سجى أي ورب الضحى وهذا من
أعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه
بقوله ما ودعك ربك وما قلى أي ما تركك وما أبغضك وقيل
ما أهملك بعد أن اصطفاك الثالث قوله وللآخرة خير لك من
الأولى قال ابن إسحق أي ما لك في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك
من كرامة الدنيا وقال سهل أي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام
المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك
ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة
وشتات الإنعام في الدارين والزيادة قال ابن إسحق يرضيه بالفلج في الدنيا
والثواب في الآخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي عن بعض
آل النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس آية في القرآن أرجى
منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار
الخامس ما عده تعالى عليه من نعمه وقرره من آلائه قبله في بقية
السورة من هدايته إلى ما هداه له أو هداية الناس به على اختلاف
التفاسير ولا مال له فأغناه بما آتاه الله أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما

فحدب

فحدب عليه عمه وآواه إليه وقيل آواه إلى الله وقيل يتيما لا مثال لك فآواك
إليه وقيل المعنى ألم يجدك فهدى بك ضالا وأغنى بك عائلا و
آوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وأنه على المعلوم من التفسير
لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه
ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه السادس أمره بإظهار
نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره وإشادة ذكره بقوله وأما
بنعمة ربك فحدث فإن من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له
عام لأمته وقال تعالى والنجم إذا هوى إلى قوله لقد رأى من آيات
ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله والنجم بأقاويل معروفة منها
النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد أنه محمد عليه السلام وقال
هو ~~عليه السلام~~ قلب محمد وقد قيل في قوله والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق
النجم الثاقب أن النجم هنا أيضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت
هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد وأقسم جل ~~جلاله~~
اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلاه
وأنه وحي يوحى أوصله إليه عن الله تعالى جبريل وهو الشديد القوى
ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الإسراء وانتهائه إلى سدرة
المنتهى وتصديق بصره فيما رأى وأنه رأى من آيات ربه الكبرى
وقد نبه تعالى على مثل هذا في أول سورة الإسراء ولما كان
ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب
الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع أدناه العقول
رمز عنه تعالى بالإيماء والكناية الدالة على التعظيم فقال تعالى فأوحى إلى عبده

النجم

ما أوحى وهذا النوع من الكلام يسميه أهل النقد والبلاغة بالوحي
والإشارة وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز وقال لقد رأى من آيات ربه
الكبرى انحصرت الأفهام عن تفصيل ما أوحى وتاهت الأحلام في
تعيين تلك الآيات الكبرى وقال القاضي أبو الفضل رحمه الله واشتملت
هذه الآيات على إعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمتها
من الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه وقلبه [illegible]
بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى
وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار
الكنس إلى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا أقسم أي أقسم إنه لقول
رسول كريم أي كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي
مكين أي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم أي في السماء
أمين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا
محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الأوصاف تعد على هذا له وقال
غيره هو جبريل فترجع الأوصاف إليه ولقد رآه يعني محمدا عليه السلام
قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب بظنين
أي بمتهم ومن قرأ بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه
وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن والقلم
الآيات أقسم الله تعالى به من عظيم قسمه وعلى تنزيه المصطفى صلى الله عليه
وسلم مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه وبسط أمله بقوله
محسنا خطابه ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة
وأعلى درجات الآداب في المحاورة ثم أعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب

غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وإن لك لأجرا غير ممنون
ثم أثنى عليه بما منحه من هباته وهداه إليه وأكد ذلك تتميما
للتمجيد بحرفي التأكيد فقال وإنك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل
الإسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة إلا الله قال الواسطي
أثنى عليه بحسن قبوله لما أسداه إليه من نعمه وفضله بذلك على غيره
لأنه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد
الحميد الذي يسر للخير وهدى إليه ثم أثنى على فاعله وجازاه عليه
سبحانه ما أعم نواله وأوسع إفضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا
بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث
الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه
متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال
الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين إلى قوله أساطير الأولين ثم ختم
ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على
الخرطوم فكانت نصرة الله له [illegible] أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى
على عدوه أبلغ من رده وأثبت في ديوان مجده الفصل السادس فيما ورد
من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والإكرام قال تعالى
طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من أسمائه عليه السلام
وقيل هو اسم لله وقيل معناه يا رجل يا إنسان وقيل هي حروف
مقطعة لمعان قال الواسطي أراد يا طاهر يا هادي وقيل هو أمر
من الوطء والها كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض بقدميك
ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله ما أنزلنا عليك

لتشقى نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر
والتعب وقيام الليل اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت
قال نا ابو ذر الحافظ نا ابو محمد الحموي نا ابراهيم بن خزيم الشاشي نا
عبد بن حميد نا هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن
انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم قام على رجل ورفع
الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طئ الارض يا محمد ما انزلنا
عليك القرآن لتشقى ولا خفا بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة
وان جعلنا طه من اسمائه عليه السلام كما قيل او جعلت قسما
لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك
باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل
نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله ايضا لعلك
باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشا ننزل عليهم
من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب
قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد
نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى آخر السورة وقوله ولقد
استهزئ برسل من قبلك الآية قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه
ما يلقى من المشركين واعلمه [illegible] ان من تمادى على ذلك يحل به
ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من
رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله بما اخبر به عن الامم السالفة

ومقالها

ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة
وانه ليس اول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم
اي اعرض عنهم فما انت بملوم اي في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله
قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك
بحيث نراك ونحفظك سلاه الله بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى

الفصل السابع فيما اخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف
منزلته على الانبياء وحظوة رتبته قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسي
استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه به
وهو ما ذكره في هذه الآية قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم
يبعث نبيا الا ذكر محمدا ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به
وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله
ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم
قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده
الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به
ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في آي
تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح الى قوله وكيلا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بابي انت وامي
يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في اولهم

فقال وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي
يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك
وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا
قال قتادة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول الأنبياء في الخلق
وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال
السمرقندي في هذا تفضيل نبينا عليه السلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو
آخرهم المعنى أخذ الله عليهم الميثاق إذ أخرجهم من ظهر آدم كالذر
وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال أهل التفسير
أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه بعث إلى
الأحمر والأسود وأحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس أحد
من الأنبياء أعطي فضيلة أو كرامة إلا وقد أعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها
قال بعضهم ومن فضله أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه
بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا أيها النبي ويا أيها الرسول وحكى السمرقندي
عن الكلبي في قوله تعالى وإن من شيعته لإبراهيم أن الهاء عائدة على محمد
صلى الله عليه وسلم أي إن من شيعة محمد لإبراهيم أي على دينه ومنهاجه
وأجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه السلام

الفصل الثامن

في إعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب
بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أي
ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من
بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
وهذا مثل قوله لو تزيلوا الآية وقوله ولولا رجال مؤمنون الآية فلما هاجر

المؤمنون نزلت وما لهم ألا يعذبهم الله وهذا من أبين ما يظهر مكانته
صلى الله عليه وسلم ودرأته العذاب عن أهل مكة بسبب كونه ثم كون أصحابه
بعده بين أظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم
وغلبتهم إياهم وحكم فيهم سيوفهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم
وفي الآية أيضا تأويل آخر حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه ثنا
أبو الفضل بن خيرون وأبو الحسين الصيرفي ثنا أبو يعلى بن زوج الحرة ثنا
أبو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا أبو عيسى الحافظ ثنا سفيان
بن وكيع ثنا ابن نمير عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف
عن أبي بردة عن أبي موسى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنزل الله علي أمانين لأمتي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت تركت فيكم
الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال
عليه السلام أنا أمان لأصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن
قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعظم ما عاش
وما دامت سنته باقية فهو باق فإذا أميتت سنته فانتظروا البلاء
والفتن وقال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية
أبان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم
بصلاة ملائكته وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه والصلاة من
الملائكة ومنا له دعاء ومن الله عز وجل نعمة وقيل يصلون يباركون
وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة
والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف

كهيعص ان الكاف من كاف اى كفاية الله تعالى لنبيه قال الله تعالى أليس الله بكاف عبده والهاء هدايته قال ويهديك صراطا مستقيما والياء تأييده قال وايدك بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد صلوته عليه قال ان الله وملائكته يصلون على النبي

قال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الآية مولاه اى وليه وصالح المؤمنين قيل الانبيا وقيل الملائكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتداء جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان ويكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اى انك مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر عليك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك فى الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها فى قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه فى الدنيا والآخرة ولعنهم و

وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية فعدد محاسنه وخصائصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات لتؤمن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه اى تجلونه وقيل تنصرونه وقيل تبالغون فى تعظيمه وتوقيره اى تعظموه وقراءة بعضهم تعززوه بزاءين من العز والاكثر والاظهر ان هذا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة وهي ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه فى المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر واحل له ولامته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اى انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس فى الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت

اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب
الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ورميه
وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر توصل تلك الرمية حيث
وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة
وقد قيل في هذه الاية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته
اي ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب و
ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو
القاتل والرامي في المعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر

فيما اظهره الله في كتابه
العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك
سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه تعالى من قصة الاسراء
في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته
وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب ومن ذلك عصمته من
الناس بقوله والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا
الاية وقوله الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة
من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصه منهم نجيا في امره والاخذ على
ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما
ظهر في ذلك من الايات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة
بن مالك حسبما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة
ومنه قوله انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك
هو الابتر اعلمه الله بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر
في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة

وقيل

وقيل المعرفة وقيل النبوة ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله فقال تعالى
ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر الحقير الذليل او المفرد
الوحيد او الذي لا خير فيه وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم قيل السبع المثاني السور الطول الاول والقرآن العظيم
ام القرآن وقيل السبع المثاني ام القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثاني
ما في القرآن من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم وآتيناك
نبأ القرآن العظيم وقيل سميت ام القرآن مثاني لانها تثنى في كل ركعة
وقيل بل لان الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له
دون الانبياء وسمى القرآن مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل
السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة
والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال وانزلنا اليك الذكر
الاية وقال وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الاية قال فهذه من
خصائصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين
لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال
عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم
اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده
وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس وازواجه امهاتهم اي هن
في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية
ولانهن له ازواج في الآخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرا به الآن

لمخالفته المصحف وقال تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في الأزل وأشار الواسطي إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليهما

الباب الثاني

في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا ● اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويتقرب إلى الله زلفى ثم هي على فنين أيضا منها ما يتخلص لأحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فأما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الآخر بالأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة و

واخواتها

وأخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة كما سنبينه إن شاء الله وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله والدار الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة وإن اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها

فصل إذا كانت خصال الجلال والكمال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الأمثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث إلى الأحمر والأسود والصلاة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والأمانة والهداية ورحمة للعالمين وإعطاء الرضا والسؤل والكوثر وسماع القول وإتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الأمة

والدعاء إلى الله وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله
ووضع الإصر والأغلال عنهم والقسم باسمه وإجابة دعوته وتكليم
الجمادات والعجم وإحياء الموتى وإسماع الصم ونبع الماء بين أصابعه
وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الأعيان والنصر
بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصاء وإبراء الآلام
والعصمة من الناس إلى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه إلا
مانحه ذلك ومفضله به لا إله غيره إلى ما أعد له في الدار الآخرة من
منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة
التي تقف دونها العقول ويحار دون أدانيها الوهم فصل إن قلت
أكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة أنه صلى الله عليه وسلم أعلى
الناس قدرا وأعظمهم محلا وأكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت
في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني إلى أن أقف عليها من
أوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف
في هذا النبي الكريم حبي وحبك أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال
التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا لجميعها محيطا بشتات
محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ
القطع أما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها فقد جاءت
الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وأنس بن مالك
وأبي هريرة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين وابن أبي هالة
وأبي جحيفة وجابر بن سمرة وأم معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب
وأبي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم

من أنه

من أنه صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون أدعج أنجل أشكل أهدب
الأشفار أبلج أزج أقنى أفلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية
تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم
العظام عبل العضدين والذراعين والأسافل رحب الكفين والقدمين
سائل الأطراف أنور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل
البائن ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب
إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر إذا افتر ضاحكا افتر
عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام إذا تكلم رئي كالنور يخرج من
ثناياه أحسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب
اللحم قال البراء ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله
صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه إذا ضحك يتلألأ في
الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله عليه
وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت
أم معبد في بعض ما وصفته به أجمل الناس من بعيد وأجلاه وأحسنه من
قريب وفي حديث ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر
وقال علي رضي الله عنه في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه
معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم
والأحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد
اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد إلى
المطلوب إن شاء الله تعالى وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه

هناك إن شاء الله **فصل** وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته
عن الأقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله في ذلك بخصائص لم توجد
في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين
على النظافة حدثنا سفيان بن العاصي وغير واحد قالوا ثنا أحمد بن عمر ثنا أبو العباس
الرازي ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا ابن سفين ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا جعفر بن سليمان
عن ثابت عن أنس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب
من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة أنه صلى الله
عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من
جونة عطار قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل
يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها
ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار أنس فعرق فجاءت أمه بقارورة
تجمع فيها عرقه فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت
نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير
عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف
أنه سلكه من طيبه وذكر إسحق بن راهويه أن تلك كانت رائحته
بلا طيب صلى الله عليه وسلم وقد حكى بعض المعتنين بأخباره وشمائله صلى الله
عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض فابتلعت غائطه
وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم وأسند محمد
بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت
للنبي صلى الله عليه وسلم إنك تأتي الخلاء ولا نرى منك شيئا من الأذى
فقال يا عائشة أوما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء

وهذا الخبر

وهذا الخبر وإن لم يكن مشهورا فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة الحدثين منه
صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض أصحاب الشافعي رضي الله عنه وقد حكى
القولين العلماء في ذلك أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع
المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية
وشاهد هذا أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن شيء منه يكره ولا غير طيب
ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت
أنظر ما يكون من الميت فلم أجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا ومثله
قال أبو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم أحد ومصه إياه وتسويغه صلى الله
عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير
دم حجامته فقال له عليه السلام ويل لك من الناس وويل لهم منك
ولم ينكر عليه وقد روي نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله فقال لها
لن تشتكي وجع بطنك أبدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن
عوده وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح ألزم الدارقطني مسلما والبخاري
إخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة بركة واختلف في نسبها وقيل هي أم أيمن
وكانت تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله قدح
من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده
فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه فقالت قمت وأنا عطشانة فشربته وأنا
لا أعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه وسلم قد ولد
مختونا مقطوع السرة وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت فرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه قال أوصاني رسول الله صلى الله

عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي
حديث عكرمة عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط
فقام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا

فصل واما وفور عقله وذكا لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال
حركاته وحسن شمايله فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن
تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة الخاصة والعامة
مع عجيب شمايله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع
دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان
عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مالا يحتاج الى تقريره لتحقيقه
وقد قال وهب بن منبه قرات في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها
ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا وفي رواية
اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى
انقضايها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين
رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلوة
يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في
الساجدين وفي الموطا عنه عليه السلام اني لاراكم من وراء ظهري
ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عايشة مثله قالت زيادة زادها الله اياها
في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من ورايي كما انظر الى من بين
يدي وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن
مخلد عن عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة
كما يرى في الضوء والاخبار صحيحة في رويته صلى الله عليه وسلم الملايكة

والشياطين

والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش
والكعبة حتى بنى مسجده وقد حكي عنه انه كان يرى في الثريا احد عشرة نجما وهذه
كلها محمولة على روية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم
الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص
الانبيا وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه ثنا
ابو الحسن المقري الفرغاني ثنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها ثنا الشريف
ابو الحسن علي بن محمد الحسني ثنا محمد بن محمد بن سعيد ثنا محمد بن
احمد بن سليمن ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا همام ثنا الحسن عن قتادة
عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما
تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء
مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا صلى الله عليه وسلم
بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من ايات ربه الكبرى
وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى
الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلث مرات
كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت
احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض تطوى له
انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته ان ضحكه كان تبسما اذا
التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من صبب فصل
واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة
منزع وايجاز مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة

تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب يخاطب
كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها
حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير
قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش
والأنصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة
النهدي وقطن بن حارثة العليمي والأشعث بن قيس ووائل بن حجر
الكندي وغيرهم من أقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر إلى كتابه
إلى همدان إن لكم فراعها ووهاطها وعزازها تأكلون علافها و
ترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة
ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري
وعليهم فيها الضالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها
ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له
في المال والولد من أقام الصلوة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا
ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك
ووضائع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة ولا تتثاقل
عن الصلوة وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش
والفلو الضبيس ولا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم
تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن
أبى فعليه الربوة ومن كتابه لوائل بن حجر إلى الأقيال العباهلة والأرواع
المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الألياط ولا ضناك وأنطوا
الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنا مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه

وذو العنان الركوب

عاما

عاما ومن زنا مم ثيب فضرجوه بالأضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض
الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الأقيال أين هذا من كتابه
لأنس في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد
وبلاغتهم على هذا النمط وأكثر استعمالهم هذه الألفاظ استعملها معهم
ليبين للناس ما نزل إليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث عطية
السعدي فإن اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين سأله فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم سل عنك أي سل عما شئت وهي لغة بني عامر وأما كلامه المعتاد
وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها
الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا
يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من
سواهم وقوله الناس كأسنان المشط والمرء مع من أحب ولا خير في صحبة
من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره و
المستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت
فسلم وقوله أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن أحبكم إلي وأقربكم مني
مجالس يوم القيمة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون
وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون
عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة
المال ومنع وهات وعقوق الأمهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت وأتبع
السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقوله أحبب حبيبك هونا ما عسى أن
يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله في بعض دعائه اللهم

إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي ۝ وتجمع بها أمري ۝ وتلم بها شعثي ۝ وتصلح
بها غائبي ۝ وترفع بها شاهدي ۝ وتزكي بها عملي ۝ وتلهمني بها رشدي ۝ وترد بها الفتى وتعصمني
بها من كل سوء ۝ اللهم إني أسألك الفوز في القضاء ۝ ونزل الشهداء وعيش السعداء
والنصر على الأعداء إلى ما روته الكافة عن الكافة ۝ من مقاماته ومحاضراته ۝
وخطبه وأدعيته ۝ ومخاطباته ۝ وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس
بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق إليها
ولا قدر أحد أن يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات حتف أنفه ولا يلدغ
المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في أخواتها ما يدرك الناظر العجب
في مضمنها ويذهب به الفكر في أداني حكمها وقد قال له أصحابه ما رأينا الذي هو
أفصح منك فقال وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقال
مرة أخرى بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم
قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى
التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت
أم معبد في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه
خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه
وسلم فصل وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فما لا يحتاج إلى
إقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه ۝ فإنه نخبة بني هاشم سلالة
قريش وصميمها [illegible] ۝ وأفضل العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه ومن
أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن
محمد الصدفي رحمة الله عليه ثنا القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف ثنا أبو ذر
عبد بن أحمد ثنا أبو محمد السرخسي وأبو إسحق وأبو الهيثم قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد

محمد

محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن
أبي هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم
قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس قال قال النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل
فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن
واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن الله اصطفى من
من ولد إبرهيم إسمعيل واصطفى من ولد إسمعيل بني كنانة واصطفى من بني
كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم
قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبري أنه
صلى الله عليه وسلم قال إن الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار

فاختار منهم قريشا ثم اختار [illegible]

بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار بني هاشم ثم اختار بني هاشم
فاختارني فلم أزل خيارا من خيار ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض
العرب فببغضي أبغضهم وعن ابن عباس أن قريشا كانت نورا بين يدي الله
تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه
فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب إبرهيم
ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين
أبوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس في مدح النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم المشهور فصل وأما ما تدعو ضرورة الحياة إليه مما
فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب
تختلف الأحوال فيه فأما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة

كالغذاء والنوم لم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لأن
كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار
الدنيا والآخرة جالب لأدواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل
على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن
كما أن كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة
مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته
وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا
من كلام الأمم المتقدمة والحكماء السالفين وأشعار العرب وأخبارها وصحيح الحديث
وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج إلى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار
العلم به وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخذ من هذين الفنين بالأقل هذا
ما لا يدفع من سيرته وهو الذي أمر به وحض عليه لا سيما بارتباط أحدهما بالآخر
حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه نا أبو الفضل الأصبهاني
نا أبو نعيم الحافظ نا سليمان بن أحمد نا بكر بن سهل نا عبد الله بن
صالح حدثني معوية بن صالح أن يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي
كرب أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا
من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة
فثلث لطعامه وثلث لنفسه ولأن كثرة النوم من كثرة الشرب
والأكل قال سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال
بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا وقد روي عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم أنه كان أحب الطعام إليه ما كان
على ضفف أي كثرة الأيدي وعن عائشة رضي الله تعالى عنها لم يمتلئ

فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا

جوف

جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط وأنه كان في أهله لا
يسألهم طعاما ولا يتشهاه إن أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه
شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله ألم أر البرمة فيها لحم إذ
لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقادهم أنه لا يحل له
فأراد بيان سنته إذ رآهم لم يقدموه إليه مع علمه أنهم لا يستأثرون عليه به فصدق
عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من أمره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي
حكمة لقمان يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت
الأعضاء عن العبادة وفي صحيح الحديث قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أما أنا فلا
آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للأكل والتقعدد في الجلوس له كا
لمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه
الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر منه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم إنما
كان جلوسه للأكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل
العبد وأجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق
عند المحققين وكذلك نومه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قليلا
شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال إن عيني تنامان ولا ينام قلبي و
كان نومه على جانبه الأيمن استظهارا على قلة النوم لأنه على الجانب الأيسر
أهنأ لهدو القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة حينئذ لميلها إلى الجانب الأيسر
فيستدعي ذلك الاستثقال [illegible] فيه والطول وإذا نام النائم على الأيمن تعلق
القلب وقلق فأسرع الإفاقة ولم يغمره الاستغراق فصل
والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه أما
النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم

وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع

تناسلوا

يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية
واما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس افضل
هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم
وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم تناكحوا فاني مباه بكم الامم ونهى
عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما صلى
الله تعالى عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض
واحصن للفرج حتى لم يعده العلماء مما يقدح في الزهد قال
سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه
لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة كثيري الزوجات
والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن
وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا
فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا
يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله
عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء
ولو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى بانه حصور
ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر
هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق
بالانبياء وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا يأتيها كانه
حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في
النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص و
انما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام او بكفا

او بكفاية من الله كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها مشغلة في كثير
من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها
وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم الذي لم يشغله كثرتهن عن عبادة
ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته
اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ
دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم فدل على ان حبه لما ذكر
من النساء والطيب اللذين من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه
بل لاخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب
ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه
لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص
بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل
بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد ساوى يحيى وعيسى في
كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله تعالى
عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له
من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس انه صلى الله تعالى
عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن
احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا خرجه
النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وقد قال سليمان عليه السلام لا
طوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن
عباس كان في ظهر سليمان عليه السلام ماء مائة رجل وكانت له

ثلثمائة امرأة وثلاث مائة سرية وحكي النقاش سبع مائة امرأة وثلاث مائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج اوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس عنه عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والآخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره فصل وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه

والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق ملي غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما داني ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشيء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره

وقوّى به المسلمين وقال ما يسرّني ان لي احد ذهبا يبيت عنده منه دينار الا دينارا ارصده لدين واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت [illegible] ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائد عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها

فصل

واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو [illegible] الاعتدال [illegible] في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها

دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال انس كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه وكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له

وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لأمه عند ولادتها اياه بقوله
لها لا تحزني على من قرأ من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي عيسى
ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني
نبيا وقال ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما
وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة
المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري
ان عمره كان حين اوتي الملك اثنى عشر عاما وكذلك
قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال
المفسرون في قوله ولقد آتينا ابرهيم رشده من قبل اي هديناه
صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابداء
خلقه وقال بعضهم لما ولد ابرهيم بعث الله اليه ملكا
يأمره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت
ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابرهيم عليه السلام
في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء
اسحق بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابرهيم
بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا
وقيل اوحي الى يوسف وهو صبي عند ما هم اخوته بالقائه في الجب
يقول تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الآية الى غير ذلك من اخبارهم
وقد حكى اهل التفسير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان
نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى
الارض رافعا رأسه الى السماء وقال في حديثه صلى الله

الله تعالى عليه وسلم لما نشأت بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر
ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما
ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله تعالى عليهم وتشرق
انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى
لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا
رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما
وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد
عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد
من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او الشهامة او صدق
اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب
يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها
ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس
فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف
السلف فيها هل هذه الخلق جبلة او مكتسبة
فحكى الطبري عن بعض السلف ان الخلق
الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود
والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد
روى سعد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه والجرأة والجبن
غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال

الجبلة الشريفة كثيرة ولكنا نذكر أصولها ونشير
الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شا الله تعالى
فصل اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل
الذى منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة
الفطنة والإصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة
الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد
اشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية
التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحققة
عند من تتبع مجاري احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه
وحسن شمائله وبدايع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والا
نجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها وضرب
الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرايع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم
الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها
قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب
وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته ان شا الله دون تعليم ولا مدارسة
ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي امي لم يعرف بشيء
من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقرأه يعلم ذلك بالمطالعة
والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول
بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا
يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه
وسلم الى سائر ما علمه الله تعالى واطلعه عليه من علم ما يكون وما

كان وعجايب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله عليه
وخرست الألسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه فصل
واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه
الألقاب فرق فان الحلم حالة توقير وثبات عند الاسباب المحركات
والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها
متقاربة واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما أدب
الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وامر بالعرف الآية
روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية سأل جبريل
عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم ذهب ثم أتاه فقال يا محمد ان
الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
وقال الله له واصبر على ما اصابك الآية وقال فاصبر كما صبر اولو العزم
من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الآية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الأمور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد
عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا
يزيد مع كثرة الأذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا
القاضي أبو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا ثنا محمد بن عتاب ثنا ابو بكر
بن واقد القاضي وغيره ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك
عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم في أمرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما
كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا

أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم
لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شديدا
وقالوا لو دعوت عليهم فقال إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة
اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون وروي عن عمر أنه قال في بعض كلامه
بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على
الأرض الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ
ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا
فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون قال القاضي أبو الفضل رضي الله
عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان
وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر
صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفى عنهم ثم أشفق عليهم ورحمهم
ودعا لهم وشفع لهم فقال اغفر أو اهد ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله
لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فإنهم لا يعلمون ولما قال له الرجل
اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله لم يزده في جوابه أن بين له
ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل
إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل ونهى من أراد من أصحابه
قتله ولما تصدى له غورث بن الحرث ليفتك به ورسول الله صلى الله
عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة
فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم والسيف صلتا
في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه
النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فتركه وعفا

من الكافرين ديارا

عنه فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره
في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من
الرواية وأنه لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره وقد أعلم به وأوحي إليه
بشرح أمره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله
بن أبي وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا
بل قال لمن أشار بقتل بعضهم لا يتحدث أن محمدا يقتل أصحابه وعن
أنس قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ
الحاشية فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد
في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي
عندك فإنك لا تحملني من مالك ولا من مال أبيك فسكت النبي صلى الله
عليه وسلم ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال ويقاد منك يا أعرابي
ما فعلت بي قال لا قال لم قال لأنك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك
النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر
تمر قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب
بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة وجيء
إليه برجل فقيل هذا أراد أن يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لن تراع لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة
قبل إسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع
ثيابه وأغلظ له ثم قال إنكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له
في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه

انا وهو كنا الى غير هذا احوج منك يا عمر تامرني بحسن القضا وتامره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ناتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش واذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفى وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم الاية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم صلى الله عليه وسلم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم الاية وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه

ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الخلق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي رحمه الله نا القاضي ابو الوليد الباجي نا ابو ذر الهروي نا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي قالوا نا ابو عبد الله الفربري نا البخاري نا محمد بن كثير انا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال لا وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة الاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منه وجاءه رجل فساله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جانا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف

مِن ذِي ٱلعَرْشِ اِقلَالًا فتبسَّم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُرِفَ ٱلبِشْرُ
فِي وَجْهِهِ وَقَالَ بِهٰذَا أُمِرْتُ ذَكَرَهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ وَذُكِرَ عَن مُعَوِّذِ بْنِ
عَفْرَاءَ قَالَ اَتَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِنَاعٍ مِنْ رُطَبٍ يُرِيدُ طَبَقًا
وَاَجْرٍ زُغْبٍ يُرِيدُ قِثَّاءً فَاَعْطَانِي مِلْءَ كَفِّهِ حُلِيًّا وَذَهَبًا قَالَ اَنَسٌ كَانَ ٱلنَّبِيُّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَدَّخِرُ شَيْئًا لِغَدٍ وَٱلخَبَرُ بِجُودِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَكَرَمِهِ كَثِيرٌ وَعَن اَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ اَتَى رَجُلٌ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْاَلُهُ فَاَ
فَاسْتَسْلَفَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِصْفَ وَسْقٍ فَجَاءَ ٱلرَّجُلُ يَتَقَاضَاهُ
فَاَعْطَاهُ وَسْقًا وَقَالَ نِصْفُهُ قَضَاءٌ وَنِصْفُهُ نَائِلٌ فَصْلٌ وَاَمَّا ٱلشَّجَاعَةُ
وَٱلنَّجْدَةُ فَٱلشَّجَاعَةُ فَضِيلَةُ قُوَّةِ ٱلغَضَبِ وَٱنْقِيَادُهَا لِلْعَقْلِ وَٱلنَّجْدَةُ ثِقَةُ ٱلنَّفْسِ
عِنْدَ ٱسْتِرْسَالِهَا اِلَى ٱلمَوْتِ حَيْثُ يُحْمَدُ فِعْلُهَا دُونَ خَوْفٍ فَكَانَ صَلَّى
ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا بِٱلمَكَانِ ٱلَّذِي لَا يُجْهَلُ قَدْ حَضَرَ ٱلمَوَاقِفَ ٱلصَّعْبَةَ وَفَرَّ
ٱلكُمَاةُ وَٱلاَبْطَالُ عَنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ وَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَبْرَحُ وَمُقْبِلٌ لَا يُدْبِرُ وَلَا
يَتَزَحْزَحُ وَمَا شُجَاعٌ اِلَّا وَقَدْ اُحْصِيَتْ لَهُ فَرَّةٌ وَحُفِظَتْ عَنْهُ جَوْلَةٌ سِوَاهُ
حَدَّثَنَا اَبُو عَلِيٍّ ٱلجَيَّانِيُّ فِيمَا كَتَبَ لِي قَالَ ثَنَا ٱلقَاضِي سِرَاجٌ ثَنَا اَبُو مُحَمَّدٍ ٱلاَصِيلِيُّ
ثَنَا اَبُو زَيْدٍ ٱلفَقِيهُ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ اِسْمَاعِيلَ ثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ثَنَا
غُنْدَرٌ ثَنَا شُعْبَةُ عَنْ اَبِي اِسْحَقَ سَمِعَ ٱلبَرَاءَ وَسَاَلَهُ رَجُلٌ اَفَرَرْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ
عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَكِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَمْ يَفِرَّ ثُمَّ قَالَ لَقَدْ رَاَيْتُهُ عَلَى بَغْلَتِهِ ٱلبَيْضَاءِ وَاَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا وَٱلنَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ
يَقُولُ اَنَا ٱلنَّبِيُّ لَا كَذِبْ وَزَادَ غَيْرُهُ اَنَا ابْنُ عَبْدِ ٱلمُطَّلِبْ قِيلَ فَمَا رُئِيَ يَوْمَئِذٍ اَحَدٌ كَانَ اَشَدَّ
مِنْهُ وَقَالَ غَيْرُهُ نَزَلَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَغْلَتِهِ وَذَكَرَ مُسْلِمٌ عَنِ ٱلعَبَّاسِ رَضِيَ
قَالَ فَلَمَّا ٱلتَقَى ٱلمُسْلِمُونَ وَٱلكُفَّارُ وَلَّى ٱلمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ نَحْوَ ٱلكُفَّارِ وَاَنَا آخِذٌ بِلِجَامِهَا
اَكُفُّهَا اِرَادَةَ اَنْ لَا تُسْرِعَ وَاَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِهِ ثُمَّ نَادَى يَا لَلْمُسْلِمِينَ ٱلحَدِيثَ
وَقِيلَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِذَا غَضِبَ وَلَا يَغْضَبُ اِلَّا
لِلهِ لَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ مَا رَاَيْتُ اَشْجَعَ وَلَا اَنْجَدَ وَلَا اَجْوَدَ
وَلَا اَرْضَى مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اِنَّا
كُنَّا اِذَا حَمِيَ ٱلبَاْسُ وَيُرْوَى اشْتَدَّ ٱلبَاْسُ وَاحْمَرَّتِ ٱلحَدَقُ
اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا يَكُونُ اَحَدٌ اَقْرَبَ اِلَى ٱلعَدُوِّ مِنْهُ
وَلَقَدْ رَاَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِٱلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ اَقْرَبُنَا
اِلَى ٱلعَدُوِّ وَكَانَ مِنْ اَشَدِّ ٱلنَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَاْسًا وَقِيلَ كَانَ
ٱلشُّجَاعُ هُوَ ٱلَّذِي يَقْرُبُ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِذَا دَنَا ٱلعَدُوُّ لِقُرْبِهِ مِنْهُ
وَعَنْ اَنَسٍ قَالَ كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَحْسَنَ ٱلنَّاسِ
وَاَجْوَدَ ٱلنَّاسِ وَاَشْجَعَ ٱلنَّاسِ لَقَدْ فَزِعَ اَهْلُ ٱلمَدِينَةِ لَيْلَةً فَانْطَلَقَ
نَاسٌ قِبَلَ ٱلصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا قَدْ سَبَقَهُمْ
اِلَى ٱلصَّوْتِ وَٱسْتَبْرَاَ ٱلخَبَرَ عَلَى فَرَسٍ لِاَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ وَٱلسَّيْفُ
فِي عُنُقِهِ وَهُوَ يَقُولُ لَنْ تُرَاعُوا وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ مَا لَقِيَ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتِيبَةً اِلَّا كَانَ اَوَّلَ مَنْ يَضْرِبُ وَلَمَّا رَآهُ اُبَيُّ
بْنُ خَلَفٍ يَوْمَ اُحُدٍ وَهُوَ يَقُولُ اَيْنَ مُحَمَّدٌ لَا نَجَوْتُ اِنْ نَجَا
وَقَدْ كَانَ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ افْتَدَى يَوْمَ بَدْرٍ عِنْدِي
فَرَسٌ اُعْلِفُهَا كُلَّ يَوْمٍ فَرَقًا مِنْ ذُرَةٍ اَقْتُلُكَ عَلَيْهَا فَقَالَ لَهُ ٱلنَّبِيُّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَنَا اَقْتُلُكَ اِنْ شَاءَ اللهُ فَلَمَّا رَآهُ يَوْمَ اُحُدٍ شَدَّ اُبَيٌّ
عَلَى فَرَسِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاعْتَرَضَهُ رِجَالٌ مِنَ ٱلمُسْلِمِينَ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحرث
بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير
اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ
منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول
قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس
لقتلهم اليس قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف
في قفولهم الى مكة فصل واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة
تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهيته او ما يكون
تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان بطبيعته
وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن
العورات اغضاء قال الله سبحانه وتعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي
فيستحيي منكم الآية وحدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه ثنا ابو القاسم حاتم
بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا
محمد بن اسمعيل ثنا عبدان انا عبد الله انا شعبة عن قتادة سمعت
عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره
شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق
الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة
قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم
يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون
او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى انس انه دخل عليه

رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما
خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة في الصحيح
لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا بالاسواق
ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام
عن التورية من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاصي وروي
عنه انه صلى الله عليه وسلم كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه
كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عائشة قالت ما
رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط فصل واما حسن عشرته
وادبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة
قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام كان اوسع الناس
صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشيرة حدثنا
ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقراته على غيره قال ثنا ابو اسحق
الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا هشام ابو مروان
ومحمد بن المثنى قالا ثنا الوليد بن مسلم ثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير
يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال
زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما اراد الانصراف
قرب له سعد حمارا وطا عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب
واما ان تنصرف فانصرفت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس

ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء لهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتي هي احسن الآية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عايشة رضي الله عنها قالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه

بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من دخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء او قيام وروي انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب وقال عبد الله بن الحرث ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس قال كان خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك فصل واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله تعالى اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا امام الحرمين ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا ابو الطاهر انا ابن وهب انا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال قال ابن شهاب ثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني ما اعطاني

وانه لابغض الخلق الي فمازال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروى ان
اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي
لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام
ودخل منزله وارسل اليه صلى الله عليه وسلم وزاده شيئا ثم قال احسنت
اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي من ذلك شي فان احببت
فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك
قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
ان هذا الاعرابي قال ما قال فزعم انه رضي اكذلك هو
قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها
الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني بها ارفق منكم واعلم
فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت
وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما
قال فقتلتموه دخل النار وروى عنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني
احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم
الصدر ومن شفقته على امته عليه السلام تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته
اشياء مخافة ان تفرض عليهم لقوله لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك
مع كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول
الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة
بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله

فزدناه ص

عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته
فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم
القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال له ان الله قد
سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت
فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت
ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله
وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال ان
تطيعك فقال اوخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت عايشة ما
خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال
ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة
السامة علينا وعن عايشة انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت ترده
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق فصل واما
خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا
القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه ثنا ابو بكر محمد بن محمد قال ثنا
ابو اسحق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا
محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان ثنا ابراهيم بن طهمان عن بديل عن
عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء
قال بايعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له
بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث

فجئت فإذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ
ثلاث أنتظرك وعن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
إذا أتي بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة
لخديجة إنها كانت تحب خديجة وعن عائشة قالت ما غرت
على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت أسمعه يذكرها وإن كان
ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها
ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال
إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان ووصفه
بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو
أفضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم إن آل بني فلان ليسوا بأوليائي
غير أن لهم رحما سأبلها ببلالها وقد صلى عليه السلام بأمامة ابنة ابنته
زينب يحملها على عاتقه فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها وعن أبي
قتادة قال وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم
فقال له أصحابه نكفيك فقال إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين
وإني أحب أن أكافئهم ولما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء في
سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها إن أحببت أقمت عندي
مكرمة محببة أو متعتك ورجعت إلى قومك فاختارت قومها فمتعها
وقال أبو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ
أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه
قالوا أمه التي أرضعته وعن عمر بن السائب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد

عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من الجانب الآخر فجلست ثم أقبل أخوه
من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه وكان
يبعث إلى ثويبة مولاة أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا أحد
وفي حديث خديجة رضي الله عنها أنها قالت له صلى الله عليه وسلم أبشر فوالله لا
يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على
نوائب الحق فصل وأما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان
أشد الناس تواضعا وأقلهم كبرا وحسبك أنه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا
عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فقال له إسرافيل عند ذلك فإن الله قد أعطاك
بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق الأرض عنه وأول شافع حدثنا
أبو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة
ثنا أبو علي الحافظ ثنا أبو عمر ثنا عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا أبو داود ثنا أبو بكر
بن أبي شيبة ثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن أبي العنبس عن أبي العدبس عن أبي مرزوق
عن أبي غالب عن أبي أمامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا إليه فقال لا تقوموا كما يقوم الأعاجم
يعظم بعضها بعضا وقال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما
يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس
الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس
جلس وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم
إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن أنس أن امرأة كان في
عقلها شيء جاءته فقالت إن لي إليك حاجة قال اجلسي يا أم فلان في أي طرق
المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله

عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار
مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير
والاهالة السنخة فيجيب قال وحج النبي صلى الله عليه وسلم على رحل
رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه
ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة
ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد
يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني
على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق
بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي
وقال للذي قال له يا خير البرية قال ذاك ابراهيم وسياتي الكلام
على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله وعن عائشة والحسن وابي سعيد
وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله
يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت
ويعقل البعير ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من
السوق وعن انس قال ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها
ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني لست
بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة قال
دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان
زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم

يقبلها

يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا
رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه
ان يحمله فصل واما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم وامانته وعفته وصدق
لهجته فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس واعدل الناس واعف
الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه
وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين
بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين
اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحازبت
عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم
داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع
بن خثيم قال كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية
قبل الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في
الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل بن خيرون
ثنا ابو يعلى بن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى
الحافظ ثنا ابو كريب ثنا معوية بن هشام عن سفين عن ابي اسحق عن ناجية
بن كعب عن علي ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية وروى
غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي
ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا
تخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال له ابو جهل والله ان محمدا
لصادق وما كذب محمد قط وسال هرقل عنه ابا سفين فقال هل كنتم تتهمونه

بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحرث لقريش قد كان محمد فيكم
غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم
في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر
وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها وفي حديث علي
في وصفه عليه السلام أصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل
إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل قالت عائشة ما خير
رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان
أبعد الناس منه قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال يصلح
يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس
للحوائج قال ابن خالويه ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم
جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزءه
بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول أبلغوا حاجة
من لا يستطيع إبلاغي فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع
الأكبر وعن الحسن قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحدا
بقذف أحد ولا يصدق أحدا على أحد وذكر أبو جعفر الطبري
عن علي رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان
أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد
من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام
كان يرعى معي لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب
فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف

والمزامير

والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر فضرب على أذني فنمت فما أيقظني إلا مس
الشمس فرجعت ولم أقض شيئا ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك ثم لم أهم بعد
ذلك بسوء

فصل وأما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته
ومروءته وحسن هديه فحدثنا أبو علي الجياني الحافظ إجازة وعارضته
بكتابه ثنا أبو العباس الدلائي ثنا أبو ذر الهروي ثنا أبو عبد الله الوراق ثنا
اللؤلؤي ثنا أبو داود ثنا عبد الرحمن بن سلام ثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن
بن أبي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهب سمعت خارجة بن زيد يقول
كان النبي صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا
من أطرافه وروى أبو سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
إذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه صلى الله عليه
وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة أنه تربع وربما جلس القرفصاء وهو في
حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم
بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان
ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة
لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على
رؤوسهم الطير وفي صفته يخطو تكفؤا ويمشي هونا كأنما ينحط من صبب
وفي الحديث الآخر إذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته أنه غير غرض
ولا وكل أي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود إن أحسن الهدي
هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله قال كان في كلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل قال ابن أبي هالة كان سكوته
على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة كان صلى الله

عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه وكان صلى الله عليه وسلم
يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض عليها ويقول حبب الي
من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة ومن مروته صلى الله
عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء
البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة **فصل** واما زهده في الدنيا صلى الله
عليه وسلم فقد تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه
عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها ان توفي صلى الله
عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل
رزق آل محمد قوتا حدثنا سفين بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي
ابو عبد الله التميمي قالوا نا احمد بن عمر نا ابو العباس الرازي نا ابو احمد الجلودي
نا ابن سفين نا ابو الحسين بن الحجاج نا ابو بكر بن ابي شيبة نا ابو معوية عن الاعمش
عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت ما شبع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز
شعير يومين متواليين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى
ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله وقالت عائشة
ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي
حديث عمرو بن الحرث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت
عائشة ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد الا شطر شعير في رف
لي وقال لي اني عرض علي ان تجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع
يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم
الذي اشبع فاحمدك واثني عليك وفي حديث آخر ان جبريل نزل عليه فقال

له ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون
معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار
له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا
محمد بالقول الثابت وعن عائشة قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما
نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف قال
هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير
وعن عائشة وابي امامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان صلى الله عليه
وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن
انس قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له
مرقق ولا رأى شاة سميطا قط وعن عائشة قالت انما كان فراشه الذي
ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة قالت كان فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع
فلما اصبح قال ما فرشتموا لي الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله
فان وطأته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول
بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله
عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من
الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام
يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت
ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول
نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا
اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم

فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحي إن رُفّهت
في معيشتي أن يُقصّر بي غدًا دونهم وما من شيء هو أحب إليّ من اللحوق بإخواني
وأخلائي قالت فما أقام بعد إلا أشهرًا حتى توفي صلى الله عليه وسلم فصل وأما
خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه
أبو محمد بن عتاب قراءة مني عليه ثنا أبو القاسم الطرابلسي ثنا أبو الحسن القابسي
ثنا أبو زيد المروزي ثنا أبو عبد الله الفربري ثنا محمد بن إسمعيل ثنا يحيى بن بكير
عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن مسيب أن أبا هريرة كان
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا
ولبكيتم كثيرًا زاد في روايتنا عن أبي عيسى الترمذي رفعه إلى أبي ذر إني
أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما
فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله والله لو تعلمون ما
أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم
إلى الصعدات تجأرون إلى الله لوددت أني شجرة تعضد روي هذا
الكلام وددت أني شجرة تعضد من قول أبي ذر نفسه وهو أصح وفي
حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه
وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أتكلف هذا وقد غفر لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدًا شكورًا
ونحوه عن أبي سلمة وأبي هريرة وقالت عائشة كان عمل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق
وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه
عن ابن عباس وأم سلمة وأنس وقال كنت لا تشاء أن تراه من الليل

مصليا

مصليًا إلا رأيته مصليًا ولا نائمًا إلا رأيته نائمًا وقال عوف بن مالك
كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت
معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب
إلا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت
والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة
سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوًا من قيامه وجلس
بين السجدتين نحوًا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة
وعن عائشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة
وعن عبد الله بن الشخير قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل قال ابن أبي هالة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال
عليه السلام إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن
علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال
المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله
أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي
والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق
شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث
آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لأجل أمتي وشوقي إلى ربي
فصل اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل
صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن
الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفة لأنها صفات الكمال والكمال

حديث موضوع

والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم ذريتهم أشرف
الرتب ودرجاتهم أرفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين
وقد قال عليه السلام إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر
ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام
طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث أبي هريرة رأيت موسى
فإذا رجل ضرب رجل أقنى كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فإذا رجل
فإذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه أحمر كأنما خرج من ديماس
وفي حديث آخر مبطن مثل السيف قال وأنا أشبه ولد إبراهيم
به وقال في حديث آخر في صفة موسى كأحسن ما أنت راء من
أدم الرجال وفي حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله
تعالى من بعد لوط نبيا إلا في ذروة من قومه ويروى ثروة أي كثرة
ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن
أنس قال ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه حسن الصوت وكان
نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسألتك عن
نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في أنساب
قومها وقال تعالى في أيوب إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب
وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة إلى قوله ويوم يبعث حيا وقال
إن الله يبشرك بيحيى إلى الصالحين وقال إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل
إبراهيم وآل عمران الآيتين وقال في نوح إنه كان عبدا شكورا
وقال إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح إلى الصالحين وقال إني عبد

عبد الله آتاني الكتاب إلى ما دمت حيا وقال يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين آذوا موسى الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى
رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء استحياء الحديث وقال تعالى
عنه فوهب لي ربي حكما الآية وقال في وصف جماعة منهم إني لكم
رسول أمين وقال إن خير من استأجرت القوي الأمين وقال فاصبر
كما صبر أولو العزم من الرسل وقال ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا
هدينا إلى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم بأوصاف جمة من الصلاح والهدى
والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال ولقد
فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم إلى أمين وقال ستجدني إن شاء الله
من الصابرين وقال في إسمعيل إنه كان صادق الوعد الآيتين وفي
موسى إنه كان مخلصا وفي سليمن نعم العبد إنه أواب وقال واذكر
عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إلى الأخيار
وفي داود إنه أواب ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب
وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وفي موسى

وقال عن شعيب ستجدني إن شاء الله من الصالحين صح

ستجدني إن شاء الله صابرا وقال وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن
أريد إلا الإصلاح ما استطعت وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما وقال
إنهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية قال سفين هو الحزن الدائم في
آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن أخلاقهم الدالة على كمالهم
وجاء من ذلك في الأحاديث كثير كقوله إنما الكريم بن الكريم بن الكريم
بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم نبي بن نبي بن نبي بن نبي
وفي حديث أنس وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم

وروي ان سليمان كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحي اليه يا رأس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فأنسى الجائع وروى ابو هريرة عنه عليه السلام خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل ان تسرج ولا يأكل الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال عليه السلام احب الصلوة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله تعالى من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال عليه السلام لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم

بالفقر

بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني المنطق بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة المؤرخين او المفسرين مما يخالف هذا

فصل قد اتينا اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها كلها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة ثنا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد

بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوحشي قالوا
انا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسين الخزاعي قال انا ابو سعيد الهيثم بن
كليب الشاشي انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ ثنا سفيان بن وكيع
ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال حدثني رجل من بني
تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها يكنى با عبد
الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب قال سألت خالي
هند بن ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ ابي
طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خذاذاد الكرجي الباقلاوي قال
واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا انا ابو علي
الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران
الفارسي قراءة عليه فاقر به انا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر
بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي
طاهر العلوي قال ثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين عن اخيه
موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين
قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن ابي هالة
عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف
لي منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما
مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من
المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا
يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب

سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه
ويحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب
مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة
معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد ما
بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة
بشعر يجري كالخط عاري الثديين ما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين
واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين
سائر الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما
الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما
ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض
اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ من
لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في
غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع
الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم
النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه
اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار
اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه
اليمنى راحته اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه
جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها عن الحسين
بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل رسول

الله صلى الله وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت
ابي عليه السلام عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله
لنفسه مأذونا له في ذلك فكان اذا أوى الى منزله جزأ دخوله ثلاثة
اجزاء جزءا لله وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس فيرد
ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء
الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة
ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم
والامة من مسئلته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ
الشاهد منكم الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته
فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم
القيمة لا تذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره قال في
حديث سفين بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق
ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع
فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما ه
يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر
الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد
اصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح
ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا ويملوا
لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين
يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة
احسنهم مواساة وموازرة فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه

صلى

صلى الله عليه وسلم فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا
يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى
القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه
نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او
قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده
الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا
وصاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة
لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة
من غير الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير
ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته
عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا
صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه
قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس
من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم
الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير واذا
سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى
يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون
منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة
يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه
حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفين

متقاربين متفاضلين فيه
بالتقوى وفي الرواية
الاخرى صاروا عنده في الحق

بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان
سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففى
تسويته النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففى ما يبقى ويفنى
وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم فى الصبر فكان لا يغضبه شئ يستفزه
وجمع له فى الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه
واجتهاده الرأى بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة
انتهى الوصف بحمد الله وعونه فصل فى تفسير غريب هذا الحديث
ومشكله قوله المشذب اى البائن الطول فى نحافة وهو مثل قوله
فى الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذى كانه متمشط
فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس اراد ان انفرقت
من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر
اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحيوة الدنيا اى زينتها
وهذا كما قال فى الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم
والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون ومثله فى الحديث
الاخر ابيض مشرب اى فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل
الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل
قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع
فى حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة
وفى الحديث الاخر اشكل العين واسجر العين وهو الذى فى بياضها
حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل
رقتها وتحزيز فيها كما يوجد فى اسنان الشباب والفلج فرق

بين

بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بادن
ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله فى الحديث
الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اى ليس بمسترخى اللحم والمكلثم القصير
الذقن وسواء البطن والصدر اى مستويهما ومشيح الصدر ان صحت
هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معانى اشاح اى انه كان
بادى الصدر ولم يكن فى صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله
قبل سواء البطن والصدر اى ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن
ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع فى الرواية الاخرى
وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله فى الحديث
الاخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس المناكب والكتد مجتمع
الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين
وسائل الاطراف اى طويل الاصابع وذكر ابن الانبارى انه روى
■ سائل الاطراف او قال سائن بالنون قال وهما بمعنى تبدل
اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى
وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث
ورحب الراحة واسعها وقيل كناية عن سعة العطاء والجود خمصان
الاخمصين اى متجافى اخمص القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض
من وسط القدم ومسيح القدمين اى املسهما ولهذا قال ينبو عنهما
الماء وفى حديث ابى هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه
وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين
وبه قالوا سمى المسيح بن مريم اى لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم

عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين وانتقلع رفع الرجل بقوة والتكفو الميل الى سنن المشى وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اى ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اى لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اى جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبذلها في جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا اى محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اى في الغالب والاكثر والعتاد العدة والشئ الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اى لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اى حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اى لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته اى يتحدث بها اى لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والصخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له ولستفزه يستخفه وفي حديث آخر في وصفه منهوس العقب اى قليل لحمها واهدب الاشفار اى طويل شعرها

الباب الثالث

فيما

فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا ما ورد منها في اثنى عشر فصلا الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه حدثنا ابو الحسن الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها ثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى وهو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني ثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد

وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل
بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم
واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس انا اكرم ولد آدم على
ربي ولا فخر وعن عائشة عنه عليه السلام اتاني جبريل
فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد
ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وعن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال له
جبريل بمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا
وعن ابن عباس عنه عليه السلام قال لما خلق الله آدم اهبطني في
صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار
في صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة
حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس
بن عبد المطلب فيه بقوله ״ من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق ״
״ بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق ״
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق ״
وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر
بن عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي
قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا
وايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل

لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية
بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض
على امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى
الاحمر والاسود قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم
الادمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم
وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الاخر عن ابي
هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ
جئ بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه
وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر انه قال صلى الله عليه وسلم
اني فرط لكم وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الآن
واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم
ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم صح
ان تنافسوا وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه
وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر قال بعثت بين يدي
الساعة ومن رواية بن وهب انه عليه السلام قال قال الله تعالى
سل يا محمد فقلت ما اسئل يا رب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى
تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت
اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض طهورا
لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في الناس
مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبات

لك شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه حذيفة تبشرني
يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف
سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا
تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا
وطيب لي ولامتي المغانم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا
ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة عنه عليه السلام
ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه
البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجوا ان اكون
اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما
بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا
الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم
القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما
ذكر فيه سوا هذا آخر باب المعجزات وعن علي رضي الله عنه
قال كل نبي اعطي سبعة نجباء واعطي نبيكم اربعة عشر نجيبا
منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها
لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض
بن سارية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اني عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وعدة
ابي ابرهيم وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس قال ان الله
فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم على اهل السماء وعلى

الانبياء

الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال
ان الله قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الآية
وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا
الآية قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا من
رسول الا بلسان قومه الآية قال لمحمد وما ارسلناك الا كافة
للناس وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن
ابي ذر وشداد بن اوس بن ملك فقال نعم انا دعوة ابي ابرهيم يعني
قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت امي حين
حملت بي انه خرج منها نور اضاء له قصور بصرى من ارض الشام
واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا
اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلاثة رجال بطست من ذهب
مملوة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق
بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا
قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث آخر ثم تناول احدهما
شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلا
ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الآخر يده على مفرق صدري فالتأم
وفي رواية ان جبريل قال قلب وكيع اي شديد يدفيه عينان تبصران
واذنان سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني
فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف
من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه فلو وزنته بامته لوزنها قال

في الحديث الآخر ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا
يا حبيب لم ترع إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي
بقية هذا الحديث من قولهم ما أكرمك على الله إن الله معك وملائكته
قال في حديث أبي ذر فما هو إلا أن وليا عني فكأنما أرى الأمر معاينة
وحكى أبو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عند معصيته
قال اللهم بحق محمد اغفر خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله من أين عرفت
محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول
رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت أنه أكرم خلقك عليك
فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه
كلمات وفي رواية الآجري فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك
فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا
عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين
من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم يكنى بأبي محمد وقيل بأبي البشر
وروي عن سريج بن يونس أنه قال إن لله ملائكة سياحين عبادتها
كل دار فيها أحمد أو محمد إكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى
ابن قانع القاضي عن أبي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما أسري بي إلى السماء الدنيا إذا على العرش مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول
الله أيدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته
كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب
عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف
يطمئن إليها أنا الله لا إله إلا هو محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس

قال على باب الجنة مكتوب إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب
من قالها وذكر أنه وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا إله إلا الله محمد تقي مصلح
وسيد أمين وذكر السمنطاري أنه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا
ولد على أحد جنبيه مكتوب لا إله إلا الله وعلى الآخر محمد رسول الله
وذكر الأخباريون أن ببلاد الهند وردا أحمر مكتوبا عليه بالأبيض
لا إله إلا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن آله إذا كان
[margin: عن أبيه]
يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه السلام
وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك قال سمعت
[margin: ورزق جيرانهم]
أهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد إلا نما ورزقوا وعنه عليه السلام
ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن
مسعود قال إن الله نظر إلى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد عليه السلام
فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش أن النبي صلى الله عليه وسلم
لما نزلت وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده
الآية قام خطيبا فقال يا معشر أهل الإيمان إن الله فضلني عليكم تفضيلا
وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث **فصل** في تفضيله
بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة والرؤية وإمامة الأنبياء والعروج به
إلى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى ومن خصائصه
عليه السلام قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما
نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الأخبار قال الله تعالى
سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الآية وقال والنجم إذا هوى
إلى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء

به عليه السلام إذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد
نبينا عليه السلام فيه أحاديث كثيرة منتشرة رأينا أن نقدم أكملها ونشير
إلى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد أبو علي والفقيه
أبو بحر بسماعي عليهما والقاضي أبو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا
ثنا أبو العباس العذري ثنا أبو العباس الرازي ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا ابن سفيان
ثنا مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني
عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق
وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه
قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها
الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل
بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت
الفطرة ثم عرج بي إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل
قيل من معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا
فإذا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى
السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح فإذا أنا بابني الخالة
عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما وسلم فرحبا بي ودعوا لي بخير
ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا فإذا أنا بيوسف
عليه السلام وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله فإذا أنا بإدريس فرحب بي
ودعا لي بخير قال الله ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا إلى السماء

الخامسة

الخامسة فذكر مثله فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
إلى السماء السادسة فذكر مثله فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي
بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا بإبراهيم مسند
ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا
يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة
وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت
فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلي ما أوحى
ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال ما فرض
ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف
فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال
فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت
إلى موسى فقلت حط عني خمسا قال إن أمتك لا يطيقون ذلك
فارجع إلى ربك فسله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تعالى
وبين موسى حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة
عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة
فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت
سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك
فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت إلى ربي حتى
استحييت منه قال القاضي رحمه الله جود ثابت هذا الحديث عن أنس ما شاء
ولم يأت أحد عنه بأصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن أنس تخليطا كثيرا
لا سيما من رواية شريك بن أبي نمر فقد ذكر في أوله مجيء الملك له وشق

قبلك

بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال
شريك في حديثه قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف انها
كانت بعد الوحي وقد كان غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل
هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه
تلك القصة مفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فجود في القصتين وفي
ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل
الى البيت المقدس ثم عرج من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد
روى يونس بن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم
ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ
بيدي فعرج بنا الى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن
مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتاخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب
الانبياء في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت في
حديث الاسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن
شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم
وابرهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى
ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة
المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن
صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام
بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي

(هامش: وذلك صح)
(هامش: بعثته)

هريرة

هريرة وقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلوة فاممتهم فقال قائل يا محمد
هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبداني بالسلام وفي حديث
ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة فصلى
مع الملائكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا
محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه
الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا
على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمن
ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم
اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي
ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه
تبيان كل شيء وجعل امتي خير امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم
الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني
فاتحا وخاتما فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء
الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود وانتهى الى
سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض
فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة
ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن
انس فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على
سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار
من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى
وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق

(هامش: وجعل امتي امة)
(هامش: خلا)

فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال
تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما
وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت
له الجبال واعطيت سليمن ملكا عظيما سخرت له الجن والانس
والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى
التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من
الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه قد اتخذتك حبيبا
فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت
امتك هم الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا
انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك
سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتم سورة البقرة
من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية
الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات
الخمس واعطي خواتم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته
المقحمات وقال ما كذب الفؤاد ما راى الايتين راى جبريل في صورته له ستمائة
جناح وفي حديث شريك انه راى موسى في السابعة قال بتفضيل
كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم
اظن ان يرفع علي احد وقد روي عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى
بالانبياء ببيت المقدس وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما
اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق
فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك

عبد

عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الحجاب الذي
يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني
لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي
هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق
عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله
فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا لا اله الا انا وذكر مثل هذا
في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح
وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام اهل السماء فيهم ادم ونوح
قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم
الشرف على اهل السماوات والارض قال القاضي رضي الله عنه ما في هذا الحديث
من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري
جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على
ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج
ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من
ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب
ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك
الذي خرج من وراءه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه
فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير
سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله

لا يجاوزها علمهم وأما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف أي يلي عرش
الرحمن أو أمرا ما من عظيم آياته أو مبادي حقائق معارفه مما هو أعلم به
كما قال تعالى واسئل القرية أي أهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب
صدق أنا أكبر فظاهره أنه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء
حجاب كما قال وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أي
وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فإن صح القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم
رأى ربه فيحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله رفع الحجاب عن
بصره حتى رآه والله أعلم **فصل** ثم اختلف السلف والعلماء هل
كان إسراء بروحه أو جسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة إلى أنه إسراء
بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء حق ووحي وإلى
هذا ذهب معوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه وإليه أشار
محمد بن إسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك وما حكوا عن
عائشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا أنا نائم وقول
أنس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت
وأنا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي
اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة
وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود
والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد
والحسن وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل
قول عائشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين
وهذا قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين

[هامش: الحسن] [هامش: إلا فتنة للناس]

وقالت طائفة كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء
بالروح واحتجوا بقوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى فجعل إلى المسجد الأقصى غاية الإسراء الذي وقع التعجب
فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم به وإظهار الكرامة
له بالإسراء إليه قال هؤلاء ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد
الأقصى لذكره فيكون أبلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت
المقدس أم لا ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وأنكر ذلك
حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال
القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالروح
والجسد في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن
الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة وليس في الإسراء بجسده
وحال يقظته استحالة إذ لو كان ذلك مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله
ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما
استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به
إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما
كان عن جسمه وحال يقظته إلى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته
بالأنبياء ببيت المقدس في رواية أنس أو في السماء على ما روى غيره
وذكر مجيء جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن
معك فيقول محمد ولقائه الأنبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه في
فرض الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الأخبار فأخذ بيدي
جبريل فعرج بي إلى السماء إلى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى

اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة ورأى فيها
ما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا
رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا جالس في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه
فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة
فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق
وعن ام هانئ ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي
تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانئ لقد صليت معكم
العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم
صليت الغداة معكم الآن كما ترون وهذا بين في انه بجسمه وعن ابي بكر بن ثابت
شداد بن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول
الله البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى
وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي
في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه آنية ثلاث وذكر
الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن
ابي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل فشرح
صدري ثم غسله بماء زمزم الى آخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن
انس اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة عنه عليه السلام
لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن اشياء لم اثبتها فكربت
كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ونحوه عن جابر وقد روي عن
عمر بن الخطاب في حديث الاسراء عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت الى

خديجة

خديجة وما تحولت عن جانبها فصل في ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله
تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي
اسرى يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها
رؤيا عين واسراء شخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل
احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة
على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم الى انها نزلت
قولهم انه قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان
وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان
اول وصول الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس
في الحديث انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا
بالمسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت واستيقظ من نوم آخر
بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان
في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره
من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من
مشاهدة الملأ الاعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع
الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه
واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر
ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب
الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات
عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلاته بالانبياء ولعله كانت له في

هذا الإسراء حالات ووجه رابع وهو أن يعبر بالنوم ها هنا عن هيئة النائم من
الاضطجاع و يقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا أنا نائم وربما
قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا أنا نائم في الحطيم وربما قال
في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الأخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى
هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم إلى أن هذه الزيادات
من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث إنما هي
من رواية شريك عن أنس فهي منكرة من روايته إذ شق البطن في الأحاديث
الصحيحة إنما كان في صغره عليه السلام وقبل النبوة ولأنه قال في الحديث
قبل أن يبعث والإسراء كان بإجماع بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع
في رواية أنس مع أن أنسا قد بين من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره وأنه
لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي
كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان أبو ذر
يحدث وأما قول عائشة ما فقد جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة
لأنها لم تكن حينئذ زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد
على الخلاف في الإسراء متى كان فإن الإسراء كان في أول الإسلام على
قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث ونصف وكانت عائشة في الهجرة
بنت ثمانية أعوام وقد قيل كان الإسراء لخمس قبل الهجرة وقيل
قبل الهجرة بعام والأشبه أنه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فإذا
لم تشاهد ذلك عائشة دل أنها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها
على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث أم هانئ وغيره
وأيضا فليس حديث عائشة بالثابت والأحاديث الأخر أثبت لسنا نعني

حديث

حديث أم هانئ وما ذكرت فيه خديجة وأيضا فقد روي في حديث عائشة
ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة وكل هذا يوهنه
بل الذي يدل عليه صحيح قولها أنه بجسده لإنكارها أن تكون رؤياه لربه
رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فإن قيل فقد قال تعالى
ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على أنه رؤيا
نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى فقد أضاف الأمر للبصر وقد قال أهل التفسير في قوله ما كذب
الفؤاد ما رأى أي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها
وقيل ما أنكر قلبه ما رأته **فصل** وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم
لربه عز وجل فاختلف السلف فيها فأنكرته عائشة حدثنا أبو الحسين سراج
بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني أبي وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه
قالا ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا أبو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت
عن أبيه وجده قالا ثنا عبد الله بن علي ثنا محمود بن آدم ثنا وكيع عن ابن أبي خالد
عن عامر عن مسروق أنه قال لعائشة يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه
فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب
من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار
الآية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن
ابن مسعود ومثله عن أبي هريرة أنه إنما رأى جبريل واختلف عنه وقال
بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين
وعن ابن عباس أنه رآه بعينه وروى عطاء عنه أنه رآه بقلبه وعن أبي العالية
عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله

هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقال نعم والأشهر أنه رأى ربه بعينيه روى ذلك
من طرق وقال إن الله اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية و
حجته قوله ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة
أخرى قال الماوردي قيل إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى
ومحمد فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى أبو الفتح الرازي وأبو
الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحرث قال اجتمع ابن
عباس وكعب فقال ابن عباس أما نحن بنو هاشم فنقول إن محمدا قد رأى ربه
مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال إن الله قسم رؤيته وكلامه بين
محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى شريك عن أبي ذر
في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي
عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل
رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم أره بعيني وروى مالك بن
يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال
يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى الحديث وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان
يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى
بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن إسحق أن مروان
سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن أحمد
بن حنبل أنه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينيه رآه رآه حتى انقطع نفسه
يعني نفس أحمد وقال أبو عمر قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن
القول برؤيته في الدنيا بالأبصار وقال سعيد بن جبير لا أقول
رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن

وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود
رأى جبريل وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال رآه وعن
ابن عطاء في قوله ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح
صدر موسى للكلام وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رضي
الله عنه وجماعة من أصحابه أنه رأى الله ببصره وعيني رأسه وقال
كل آية أوتيها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي مثلها نبينا صلى الله عليه
وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا و
قال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز أن يكون قال القاضي أبو
الفضل رضي الله عنه والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة
عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه
السلام لها ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل
إلا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه
إلا من علمه الله فقال له الله لن تراني أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي
ثم ضرب له مثلا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو الجبل وكل هذا ليس
فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع
دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير
مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه الأبصار لاختلاف
التأويلات في الآية وإذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة
وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها
على الجملة وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل لا تدركه الأبصار لا تحيط
به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الأبصار وإنما يدركه المبصرون

وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله
لن تراني الآية وقوله تبت إليك لما قدمناه ولأنها ليست على العموم ولأن
من قال معناها لن تراني في الدنيا إنما هو تأويل وأيضاً فليس فيه نص
الامتناع وإنما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات
فليس للقطع إليه سبيل وقوله تبت إليك أي من سؤالي ما لم تقدره لي
وقد قال أبو بكر الهذلي في قوله لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق أن
ينظر إليّ في الدنيا وأنه من نظر إليّ مات وقد رأيت لبعض السلف
والمتأخرين ما معناه أن رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب أهل
الدنيا وقواهم وكونها متغيرة [illegible] غرضاً للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على
الرؤية فإذا كان في الآخرة وركبوا تركيباً آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية
وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رأيت نحو
هذا لمالك بن أنس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لأنه باقٍ ولا يرى
الفاني بالباقي فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصاراً باقية رئي الباقي
بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة
إلا من حيث ضعف القدرة فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدره
على حمل أعباء الرؤية لم يمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى
ومحمد عليهما السلام ونفوذ إدراكهما بقوة إلهية منحاها لإدراك
ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله أعلم وقد ذكر القاضي أبو بكر في
أثناء أجوبته عن الآيتين ما معناه أن موسى عليه السلام رأى الله فلذلك
خر صعقاً وأن الجبل رأى ربه فصار دكاً بإدراك خلقه الله له واستنبط
ذلك والله أعلم من قوله ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ثم

قال

قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى
رآه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك
لمات صعقاً بلا إفاقة وقوله هذا يدل على أن موسى رآه وقد وقع
لبعض المفسرين في الجبل أنه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد
نبينا صلى الله عليه وسلم له إذ جعله دليله على الجواز ولا مرية في الجواز إذ
ليس في الآيات نص بالمنع وأما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول
بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضاً ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع
فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى
الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث أبي ذر في تفسير
الآية وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن وحديث
أبي ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروي نور أنى أراه وحكى بعض شيوخنا
أنه روي نوراني أراه وفي حديث الآخر سألته فقال رأيت نوراً
وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما على صحة الرؤية فإن كان الصحيح رأيت
نوراً فهو قد أخبر أنه لم ير الله وإنما رأى نوراً منعه وحجبه عن رؤية الله وإلى
هذا يرجع قوله نور أنى أراه أي كيف أراه مع حجاب النور المغشي للبصر
وهذا مثل ما في الحديث الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم أره بعيني
ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق الإدراك
الذي في البصر في القلب أو كيف شاء لا إله غيره فإن ورد حديث نص بين
في الباب اعتقد ووجب المصير إليه إذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده
والله الموفق تعالى فصل وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته

الله وكلامه معه بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث
فاكثر المفسرين على ان الموحي الله الى جبريل وجبريل الى محمد الا شذوذا منهم
فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه عن
الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في الاسراء وحكي
عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره آخرون وذكر النقاش
عن ابن عباس في قصة الاسراء عنه عليه السلام في قوله دنا فتدلى قال فارقني
جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك
يا محمد ادن ادن وفي حديث انس في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في
هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فقالوا وهي ثلاثة اقسام من وراء
حجاب كتكليم موسى وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا
صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صورة الكلام الا المشافهة
مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي دون واسطة
وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي في حديث الاسراء ما هو اوضح في سماع النبي
صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر
فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر
كلمات الاذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد
هذا مع ما يشبهه وفي اول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد صلى الله عليه وسلم
ومن اختصه من انبيائه عليهم السلام جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع
قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى عليه السلام
كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة

ورفع

ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا
فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا
او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض
درجات فصل واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب
من قوله دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو
والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام او مختص باحدهما من الآخر
او من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى
من ربه وقيل معنى دنى قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب
وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب دنا من محمد فتدلى اليه اي
امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم
فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال وقال
ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات
وسمعت كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى
ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه
بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسراء وعن محمد بن كعب
القرظي هو محمد دنا محمد من ربه فكان كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد ادناه
ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله
لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى
كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان
فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال

القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اعلم ان ما وقع في اضافة الدنو والقرب هنا من
الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس
بدنو وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته
وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله
تعالى له مبرة وتأنيس وبسط واكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل
ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان
قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا
بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله
قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله لا الى جبريل على هذا كان
عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة
من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار
التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله له ويتأول فيه ما يتأول في قوله من تقرب
مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول
واتيان بالاحسان وتعجيل المأمول فصل في ذكر تفضيله يوم القيمة
بخصوص الكرامة ثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا ثنا ابو
يعلى ثنا السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسين بن يزيد الكوفي ثنا عبد السلام
بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم
اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية
بن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا
وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا

مبشرهم

مبشرهم اذا ابلسوا وانا شفيعهم اذا ايسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربه ولا فخر
ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل
الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري
وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم
القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي
وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم يوم القيمة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع
وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول
مشفع ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع
في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
انا سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين
وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم
الانبياء اجرا يوم القيمة وفي حديث آخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى
فيكم يوم القيمة ثم قال انهما في امتي يوم القيامة اما ابراهيم فيقول انت
دعوتي وذريتي فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم
شتى وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به قوله انا سيد
الناس يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة ولكن اشار عليه السلام
لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجأ الناس اليه في ذلك فلم
يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجأ الناس اليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا
منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك

اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى في الدنيا والآخرة لكن في الآخرة انقطعت
دعوى المدعي لذلك في الدنيا وكذلك لجأ إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم جميع
الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الأخرى دون دعوى وعن أنس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح
فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك
وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة
شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك
كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا وعن أبي ذر نحوه وقال
طوله ما بين عمان إلى أيلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله
وقال أحدهما من ذهب والآخر من ورق وفي رواية حارثة بن
وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال أنس أيلة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين
الكوفة والحجر الأسود وروى حديث الحوض أيضا أنس وجابر بن سمرة وابن عمر
وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وأبو برزة الأسلمي
وحذيفة بن اليمان وأبو أمامة وزيد بن أرقم وابن مسعود وعبد الله
بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن حبلة وأبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو بريدة
وأبو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وأبو هريرة والبراء وجندب
وعائشة وأسما بنتا أبي بكر وأبو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم **فصل**
في تفضيله صلى الله عليه وسلم بالمحبة والخلة جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختص على ألسنة المسلمين
بحبيب الله أخبرنا أبو القاسم بن إبراهيم الخطيب وغيرهم عن كريمة بنت أحمد ثنا
نا أبو الهيثم وثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه ثنا القاضي أبو الوليد ثنا عبد بن
أحمد ثنا أبو الهيثم ثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله

بن

بن محمد نا أبو عامر نا فليح نا أبو النضر عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر
وفي حديث آخر وإن صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم
خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال
بعضهم عجبا إن الله اتخذ من خلقه خليلا وقال آخر بعضهم ماذا بأعجب
من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال
آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم إن الله
اتخذ إبراهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله
وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل
لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول
من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا
أكرم الأولين والآخرين ولا فخر وفي حديث أبي هريرة من قول الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم إني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة أنت حبيب
الرحمن قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة وأصل
اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع إلى الله الذي ليس في انقطاعه إليه ومحبته له اختلال
وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم أصل الخلة
الاستصفاء وسمي إبراهيم خليل الله لأنه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره
وجعله إماما لمن بعده وقيل الخليل أصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة
وهي الحاجة فسمي بها إبراهيم لأنه قصر حاجته على ربه وانقطع إليه بهمه ولم
يجعله قبل غيره إذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى به في النار فقال ألك حاجة

قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص
بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف
والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يواخذ بذنوبه
قال هذا والخلة هنا اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة
كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون
عداوة مع خلة فاذا تسمية ابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم بالخلة اما بانقطاعهما
الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط
والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما خالل
بواطنهما من اسرار الالهية ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما و
استصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم تخاللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم
الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلماء ارباب القلوب
ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا
خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالمحبة وبعضهم
قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير
ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة عليها السلام وابنيها واسامة وغيرهما واكثرهم
جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا صلى الله عليه وسلم ارفع من
درجة الخليل ابراهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق
من يصح الميل منه والانتفاع بالرفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله
فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة

اسباب

اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه
وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يتأول من
هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب
لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن
برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ** وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي ** واذا ما سكت كنت الغليلا

فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا عليه السلام بما دلت عليه
الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله الآية حكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قالت الكفار انما يريد محمد
ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما على
مقالتهم هذه الآية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته
وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان الله لا يحب الكافرين
وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين
المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر
منها طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة
من قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب
يصل اليه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي تكون
مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب
الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم الآية

والخليل قال لا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي الآية فابتدي بالبشارة
قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا أيها النبي حسبك
الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك
ذكرك أعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني أن نعبد
الأصنام والحبيب قيل له إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات
والأحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا **فصل**
في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما
محمودا أخبرنا الشيخ أبو علي الغساني الجياني فيما كتب إلي بخطه نا سراج بن
عبد الله القاضي نا أبو محمد الأصيلي نا أبو زيد وأبو أحمد قالا نا محمد بن يوسف
نا محمد بن إسماعيل نا إسماعيل بن أبان نا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال
سمعت ابن عمر يقول إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء كل أمة تتبع نبيها
يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى
الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن أبي هريرة قال
سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما
محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام قال
يحشر الناس يوم القيمة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء
ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود وعن ابن
عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة
فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه عليه السلام
إنه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الأولون والآخرون

ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه
وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لقائم المقام
المحمود قيل وما هو قال ذاك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه صح الحديث
وعن أبي موسى عنه عليه السلام خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة
وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم أترونها للمتقين ولكنها للمذنبين
الخطائين وعن أبي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة
فقال شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن
أم حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت ما تلقى أمتي من بعدي
وسفك بعضهم دماء بعض فسبق لهم من الله ما سبق للأمم قبلهم فسألت الله أن
يؤتيني الشفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد
واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا
تكلم نفس إلا بإذنه فينادى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس إليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك
وبك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب
البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله وقال ابن عباس إذا
دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة فتبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من
النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم إيمانكم فيدعون ربهم
ويضجون فيسمعهم أهل الجنة فيسألون آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم
فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام
المحمود ونحوه عن ابن مسعود أيضا ومجاهد وذكره علي بن حسين
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت

بمقام محمد صلى الله عليه وسلم وعن سفيان المقام المحمود هو شفاعته لأمته يوم القيمة يعني الذي يبعثه الله فيه قال
قلت نعم قال فإنه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر
حديث الشفاعة في إخراج الجهنميين وعن أنس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي
وعده وفي رواية أنس وأبي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض
قال عليه السلام يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيمة فيهتمون أو قال
فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم
في بعض وعن أبي هريرة فتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون
ولا يحتملون فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون زاد
بعضهم أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسكنك
جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى
يريحنا من مكاننا ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت
نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون أنت
أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا ألا ترى ما نحن فيه
ألا ترى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم
يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية أنس ويذكر
خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية أبي هريرة وقد كانت
لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم فإنه خليل
الله فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع
لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا
فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى

وعن ابن عباس رضي الله عنهما المقام المحمود هو الشفاعة [illegible] رضي الله عنه وقال قتادة [illegible] المقام المحمود شفاعته يوم القيمة [illegible] كان أهل العلم يرون المقام المحمود [illegible] الشفاعة [illegible] المقام المحمود هو مقامه [illegible] الأخبار عنه صلى الله عليه وسلم [illegible] في صحيح [illegible] بعض السلف [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] على المقالة [illegible] لم يأت في كتاب ولا سنة [illegible] صح

فإنه

فإنه كليم الله وفي رواية فإنه عبد آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال
فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي أصاب وقتله النفس
نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها
ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فأوتى
فأقول أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا رأيته وقعت
ساجدا وفي رواية فآتي تحت العرش فأخر ساجدا وفي رواية فأقوم
بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله وفي رواية فيفتح
الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي قال في رواية
أبي هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي
فأقول يا رب أمتي يا رب أمتي فيقول أدخل من أمتك من لا حساب
عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك
من الأبواب ولم يذكر في رواية أنس هذا الفصل وفي روايته وقال
مكانه ثم أخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع
تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال
حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى
ربي فأحمده بتلك المحامد وذكر مثل الأول وقال فيه مثقال حبة من
خردل قال فأفعل ثم أرجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من
كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل فأفعل وذكر في
المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه
فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك إليك ولكن
وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله

فإنه صح

ومن رواية قتادة عنه قال فلا ادري في الثالثة ام الرابعة فاقول
يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن اي وجب عليه الخلود وعن ابي بكر
وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة مثله قال فياتون محمدا فيؤذن
له وتاتي الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك
عن حذيفة فياتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق
ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول
اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث وفي رواية
ابي هريرة فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس عنه عليه السلام يوضع للانبياء
منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول
الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى
بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل بشفاعتي ولا
ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن
النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد
النميري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق
الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد
يوم القيمة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال
من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر
نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع
من اختلاف الفاظ هذه الآثار ان شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود
من اول الشفاعات الى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم

الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ
لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث
عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب
عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب
ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس
هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعوا
بها واختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة قال اهل العلم معناه
دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم من كل
دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء
بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاءوه يدعون بها على يقين
من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في هذا
الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان اؤخر دعوتي
شفاعة لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل
كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية
ابن زياد عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة
الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سأل لامته اشياء من امور الدين
والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة
المحن وعظيم السؤل والرغبة جزاه الله احسن ما جزى نبيا عن امته وصلى الله عليه
وسلم كثيرا فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر
والفضيلة حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد
هشام بن احمد بقراءتي عليه قالا ثنا ابو علي الغساني ثنا النمري ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ع

ابو بكر التمار ثنا ابو داود حدثنا محمد بن سلمة ثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد
بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص
انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا
علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة
لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل الله لي الوسيلة
حلت عليه الشفاعة وفي حديث اخر عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة
في الجنة وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في
الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر
الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب بيده الى طينته فاستخرج مسكا وعن عائشة
وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل
وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض
ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا
قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه قال سعيد بن جبير والنهر الذي
في الجنة من الخير الذي اعطاه الله وعن حذيفة فيما ذكر عليه السلام
عن ربه واعطاني الكوثر نهرا من الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس في قوله
ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك
وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم

فصل فان قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الاثر واجماع الامة
كونه اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل
كقوله فيما حدثناه الاسدي قال ثنا السمرقندي ثنا الفارسي ثنا الجلودي ثنا
ابن سفين ثنا مسلم ثنا ابن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا

العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي غير
هذا الطريق عن ابي هريرة قال يعني الله ما ينبغي لعبد الحديث وفي
حديث ابي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر
فلطمه رجل من الانصار وقال يقول ذاك ورسول الله صلى الله عليه وسلم
بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء
وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا
افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى
فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي
حديثه الاخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم فاعلم ان
للعلماء في هذه الاحاديث تأويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه
سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد
كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما
هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق
التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث
ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما في جهة
يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك
غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ذهب مغاضبا اذ
ابق الى الفلك المشحون فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته
بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها
على حد واحد اذ هي شيء واحد لا يتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال

والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولوا العزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومن اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون آياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض

فصل في اسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه نا ابو عمر الحافظ نا سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبغ نا محمد بن وضاح نا يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي

يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله في كتابه محمدا واحمد فمن خصائصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويتشهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والآخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره وسمى امته في كتب انبيائه بالحامدين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر وهو ان الله جل اسمه حمى ان يسمى به احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى في الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفين بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال ان اول من سمي محمد بن سفين واليمن يقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به [illegible] ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله وانا الماحي

بالحامدين

محمد ابن احيحة الجلاح

بمحمد

الذي يمحو الله بي الكفر فيفسر في الحديث ويكون محو الكفر إما من مكة وبلاد
العرب وما زوي له من الأرض ووعد أنه يبلغه ملك أمته أو يكون المحو عاماً بمعنى
الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث أنه الذي محيت به سيئات
من اتبعه وقوله وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي أي على زماني وعهدي أي ليس بعدي نبي
كما قال تعالى وخاتم النبيين وسمي عاقباً لأنه عقب غيره من الأنبياء وقيل معنى
على قدمي أي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيداً ومعنى قوله لي خمسة أسماء قيل إنها موجودة في الكتب
المتقدمة وعند أولي العلم من الأمم السالفة والله أعلم وقد روي عنه عليه السلام
لي عشرة أسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه إنه
يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد
وذكر غيره لي عشرة أسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الأول قال
وأنا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وأنا المقفى قفيت
وأنا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم أروه وأرى أن صوابه
قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو أشبه بالتفسير وقد وقع أيضاً في
كتب الأنبياء قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمداً مقيم السنة بعد
الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى [illegible] النقاش عنه عليه السلام لي في القرآن سبعة
أسماء محمد وأحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث
أبي موسى الأشعري أنه كان صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه فيقول أنا
محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة
وكل صحيح إن شاء الله ومعنى المقفى معنى العاقب وأما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة
والراحة فقد قال الله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وكما وصفه

بانه

بأنه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤوف
رحيم وقد قال في صفة أمته إنها أمة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالمرحمة أي يرحم بعضهم بعضاً فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه تعالى
رحمة لأمته ورحمة للعالمين ورحيماً بهم ومترحماً مستغفراً لهم وجعل أمته
أمة مرحومة ووصفها بالرحمة وأمرها عليه السلام بالتراحم وأثنى عليه فقال
إن الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في
الأرض يرحمكم من في السماء وأما رواية نبي الملحمة فإشارة إلى ما بعث به من القتال
والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث أبي موسى وفيه
ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه صلى الله عليه وسلم
أنه قال أتاني ملك فقال لي أنت قثم أي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير
وهذا اسم هو في أهل بيته صلى الله عليه وسلم معلوم وقد جاءت من ألقابه عليه السلام
وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير
والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤوف
الرحيم والأمين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى
والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الأمي وداعي الله في
أوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب أنبيائه
وأحاديث رسوله وإطلاق الأمة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وأبي القاسم
والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن
والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم وسيد المرسلين وإمام
المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود
والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب

التاج والمعراج، واللواء والقضيب، وراكب البراق، والناقة، والنجيب، وصاحب الحجة، والسلطان، والخاتم، والعلامة، والبرهان، وصاحب الهراوة، والنعلين، ومن أسمائه في الكتب المتوكل، والمختار، ومقيم السنة، والمقدس، وروح الحق، وهو معنى البارقليط في الإنجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل ومن أسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطا [illegible] يا والخاتم والخاتم حكاه كعب الأحبار قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الأنبياء والخاتم أحسن الأنبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه أيضا في التوراة أحيد روي ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب أي السيف وقع ذلك مفسرا في الإنجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك وقد يحمل على أنه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الآن عند الخلفاء وأما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا وأراها والله أعلم العصا المذكورة في حديث الحوض أذود الناس عنه بعصاي لأهل اليمن وأما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ إلا للعرب والعمائم تيجان العرب وأوصافه وألقابه وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع إن شاء الله

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه به من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى

قال القاضي أبو الفضل وفقه الله ما أحرى هذا الفصل بفصول الباب الأول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية إلى استنباطه ولا أنار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه إلا عند الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا أن نضيفه إليه ونجمع به شمله فاعلم أن الله تعالى خص كثيرا من أنبيائه بكرامة خلعها عليهم من أسمائه كتسمية إسحق وإسمعيل بعليم وحليم وإبراهيم بحليم ونوحا بشكور ويحيى وعيسى ببر وموسى بكريم

وقوي ويوسف بحفيظ عليم وأيوب بصابر وإسماعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم بأن حلاه منها في كتابه العزيز وعلى ألسنة أنبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال الفكر وإحضار الذكر إذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتأليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما ألهم إلى ما علم منها وحققه يتم النعمة بإبانة ما لم يظهر لنا الآن ويفتح غلقه فمن أسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لأنه حمد نفسه وحمده عباده ويكون أيضا بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا وأحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبر داود وأحمد بمعنى أكبر من حمد وأجل من حمد وقد أشار إلى نحو هذا حسان بقوله

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن أسمائه تعالى الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم ومن أسمائه الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق أمره وكذلك المبين أي البين أمره وإلهيته بان وأبان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل إني أنا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وأمره وهو بالمعنى الأول والمبين البين أمره ورسالته أو المبين عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل إليهم ومن أسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور أي خالقه أو منور السموات والأرض بالأنوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه وسراجاً منيراً
سمي بذلك لوضوح أمره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين
بما جاء به ومن أسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم
القيامة وسماه شهيداً وشاهداً فقال إنا أرسلناك شاهداً وقال ويكون
الرسول عليكم شهيداً وهو بمعنى الأول ومن أسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير
الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في أسمائه تعالى
الأكرم وسماه تعالى كريماً بقوله إنه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال
صلى الله عليه وسلم أنا أكرم ولد آدم ومعاني الاسم صحيحة في حقه صلى الله
عليه وسلم ومن أسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشأن الذي كل شيء
دونه وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وإنك لعلى خلق عظيم ووقع في أول
سفر من التوراة عن إسماعيل وسيلد عظيماً لأمة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق
عظيم ومن أسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشأن
وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار فقال
تقلد أيها الجبار سيفك فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك
ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم إما لإصلاحه الأمة بالهداية والتعليم أو
لقهره أعداءه أو لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى عنه تعالى في القرآن
جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما أنت عليهم بجبار ومن أسمائه
تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال
الله تعالى الرحمن فاسأل به خبيراً قال القاضي بكر بن العلاء المأمور
بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم
وقال غيره بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الله فالنبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم خبير بالوجهين المذكورين قيل لأنه عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله من
مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لأمته بما أذن له في إعلامهم به ومن أسمائه تعالى
الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده أو فاتح أبواب الرزق والرحمة والمنغلق من
أمورهم عليهم أو يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون أيضاً بمعنى الناصر
كقوله إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أي إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل
معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالفاتح في
حديث الإسراء الطويل من رواية الربيع بن أنس عن أبي العالية وغيره عن أبي هريرة
وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحاً وخاتماً وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم
في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحاً وخاتماً
فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم أو الفاتح لأبواب الرحمة على أمته والفاتح لبصائرهم
لمعرفة الحق والإيمان بالله والناصر للحق أو المبتدي بهداية الأمة أو المبدأ
المقدم في الأنبياء والخاتم لهم كما قال صلى الله عليه وسلم كنت أول الأنبياء
في الخلق وآخرهم في البعث ومن أسمائه تعالى في الحديث الشكور ومعناه
المثيب على العمل القليل وقيل المثني على عباده المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحاً
عليه السلام فقال إنه كان عبداً شكوراً وقد وصف النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك نفسه فقال أفلا أكون عبداً شكوراً أي معترفاً بنعم ربي عارفاً
بقدر ذلك مثنياً عليه مجهداً نفسي في الزيادة من ذلك لقوله لئن شكرتم
لأزيدنكم ومن أسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف
نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيماً وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم
تكونوا تعلمون ومن أسمائه تعالى الأول والآخر ومعناهما السابق للأشياء

قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر وقال
صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث وفي هذا
بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية فقدم
محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه
قوله نحن الاخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق الارض عنه واول
من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين واخر الرسل صلى
الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه القادر
وقد وصفه الله بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل
محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور ورد في الحديث
ايضا اسمه عليه السلام بالصادق المصدوق ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر
وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم انا ولي
كل مومن وقال الله تعالى النبي اولى بالمومنين وقال النبي صلى الله عليه
وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد
وصف الله بهذا نبيه صلى الله عليه وسلم في القران والتوراة وامره بالعفو فقال
خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد ساله عن قوله
خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل في الحديث
المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادي
وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى
والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع من
الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي
صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال

بجميع

فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال تعالى انك لا
تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى
ومن اسمائه تعالى المومن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المومن في حقه تعالى
المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المومنين ورسله
وقيل الموحد نفسه وقيل المومن عباده في الدنيا من ظلمه والمومنين في الاخرة
من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل
ان قولهم في الدعاء امين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المومن وقيل
المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومومن
سماه الله امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام يعرف بالامين وشهر
به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله

ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

قيل المراد يا ايها المهيمن قاله العتبي والامام ابو القاسم القشيري وقال
تعالى يومن بالله ويومن للمومنين اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي فهذا
بمعنى المومن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقائص المطهر من سمات
الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس
وروح القدس ووقع في كتب الانبياء في اسمائه عليه السلام المقدس اي المطهر
من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او
الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم وقال
ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة
والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي
لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر

خندق

وقد وصف الله نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وقال إن الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا أي
مبشرا لأهل طاعته ونذيرا لأهل معصيته ومن أسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين
طه ويس وقد ذكر بعضهم أيضا أنهما من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم

فصل قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وها أنا أذكر
نكتة أذيل بها هذا الفصل وأختم بها هذا القسم وأزيح الإشكال بها فيما
تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه
عن شبه التمويه وهو أن يعتقد أن الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته
وحسنى أسمائه وعلي صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وأن ما جاء
مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي إذ
صفات القديم بخلاف صفات المخلوق وكما أن ذاته لا تشبه الذوات كذلك
صفاته لا تشبه صفات المخلوقين إذ صفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض
وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته وأسمائه وكفى في هذا قوله
ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد إثبات
ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي
رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا
كفعله فعل ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات
القديمة أن تكون لها صفة حديثة كما استحال أن يكون للذات المحدثة
صفة قديمة وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم
وقد فسر الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا فقال
هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات

وبشيرا صح

وهي

وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس أو دفع
نقص حصل ولا بخواطر وأغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق
لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه بأوهامكم أو
أدركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الإمام أبو المعالي الجويني من اطمأن
إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن إلى النفي المحض فهو معطل
وإن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما أحسن
قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء
بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في
وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الآخر تفسير
لقوله ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
والثالث تفسير لقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون
ثبتنا الله وإياك على التوحيد والإثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة
والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه وكرمه

الباب الرابع

فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات
قال القاضي أبو الفضل حسب المتأمل أن يحقق أن كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر
نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج إلى نصب البراهين
عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن إليها ونذكر شروط المعجز
والتحدي وحده وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع ورده بل ألفناه لأهل
ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تأكيدا في محبتهم له ومنماة لأعمالهم
وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ونيتنا أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته ومشاهير

آياته ليدل على عظيم قدره عند ربه وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد وأكثره
مما بلغ القطع أو كاد وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة وإذا تأمل
المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله
وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته
وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به وروينا
عن الترمذي وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم أن عبد الله بن سلام قال
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه فلما استبنت
وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد
أبو علي رحمه الله ثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون عن أبي
يعلى البغدادي عن أبي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي ثنا محمد بن بشار
ثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن أبي عدي ويحيى بن سعيد عن
عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن زرارة بن أبي أوفى عن عبد الله بن سلام الحديث
وعن أبي رمثة التيمي قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فأريته
فلما رأيته قلت هذا نبي الله وروى مسلم وغيره أن ضمادا لما وفد عليه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله
فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له وأن محمدا عبده ورسوله قال له أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن
قاموس البحر هات يدك أبايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا
يقال له طارق فأخبر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل
معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر
فأخذ بخطامه وسار إلى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا

ظعينة

ظعينة فقالت أنا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فأصبحنا
فجاء رجل بتمر فقال أنا رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
إليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي
ملك عمان لما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام قا
قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول
آخذ به ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر
ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود وأشهد أنه نبي وقال نفطويه
في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وهذا مثل ضربه الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرآنا
كما قال ابن رواحة لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر
وقد آن أن نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة
القرآن وما فيه من برهان ودلالة فصل إن الله جل اسمه قادر على
خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وأسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء
ودون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته في بعض الأنبياء وذكر بعض أهل التفسير
في قوله وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب وجائز أن يصل
إليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة إما من غير البشر كا
لملائكة مع الأنبياء أو من جنسهم كالأنبياء مع الأمم ولا مانع لهذا من دليل العقل
وإذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم
وجب تصديقهم في جميع ما أتوا به لأن المعجز مع التحدي من النبي قائم مقام قول
الله صدق عبدي فأطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف
والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن أراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات

ائمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز مأخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا تهمز على
هذا التأويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون
نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه عليه فعيل
بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له
رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان
واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله
له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس
ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف
العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو الا
علام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما
معا الارسال **قال** ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما
مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص
النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول
وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين
ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا
من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول
من جاء بشرع مبتدا ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار
والصحيح والذي عليه [illegible] الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي
رسولا واول الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي ذر
عنه ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلاث
مائة وثلاثة عشر اولهم آدم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند

المحققين

المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل
ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا
تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب
واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة و
عشيا اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة وقيل اصل
الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله وان الشياطين ليوحون الى
اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها وقد
قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون
واسطة **فصل** اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان
الخلق عجزوا [illegible] عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر
فعجزوا [illegible] عنه فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيهم كصرفهم عن تمني
الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على راي بعضهم ونحوه وضرب هو خا
رج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج
ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان
يفعله احد الا الله فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه
ان يأتي بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله
عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو
اكثر الرسل معجزة وابهرهم آية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها
لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن لا تحصى عدد معجزاته بالف
ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها

قال أهل العلم وأقصر السور إنا أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات
منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما
انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم
منها علم قطعا ونقل إلينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي صلى
الله عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وإن أنكر هذا معاند
جاحد فهو كإنكاره وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا وإنما جاء اعتراض الجاحدين
في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه إعجازه معلوم
ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض أئمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة أنه قد
جرى على يديه عليه السلام آيات وخوارق عادات إن لم يبلغ واحد منها معينا
القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا
كافر أنه جرت على يديه عجائب وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها
من قبل الله وأن ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا أيضا من نبينا صلى
الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم الأحنف
لاتفاق الأخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وحلم هذا وشجاعة هذا وإن كان
كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة
والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد الكثير وشاع الخبر به عند المحدثين
والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء من بين الأصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به
الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا
في المعنى واجتمعا على الإتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي أبو الفضل
وأنا أقول صدعا بالحق إن كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه عليه السلام
معلومة بالقطع أما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه وأخبر عن وجوده ولا يعدل

عن

عن ظاهره إلا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة فلا يوهن
عزمنا خلاف أخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على
قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا أنفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك
قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير
عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا
عمن حدث بها من جملة الصحابة وأخبارهم أن ذلك كان في موطن اجتماع
الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وأمثالها من
محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن أحد من الصحابة مخالفة
للراوي فيما حكاه ولا إنكار لما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رآه فسكوت
الساكت منهم كنطق الناطق إذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في
كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا
عندهم وغير معروف لديهم لأنكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء
رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم [illegible] بعضا ووهمه في
ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وأيضا
فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الأزمان
وتداول الناس وأهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في
كثير من الأخبار الكاذبة والأراجيف الطارئة وأعلام نبينا
صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان
إلا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف
أصلها واجتهاد الملحد على إطفاء نورها إلا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها إلا حسرة
وغليلا وكذلك إخباره عن الغيوب وإنباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته على الجملة

بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من أئمتنا القاضي والأستاذ
أبو بكر وغيرهما رحمهم الله وما أوجب عندي قول القائل إن هذه القصص المشهورة
من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من
المعارف وإلا فمن اعتنى بطريق النقل وطالع [illegible] الأحاديث والسير لم يرتب في
صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند
واحد ولا يحصل عند آخر فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها
مدينة عظيمة ودار الإمامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن
وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه أن
مذهبه إيجاب قراءة أم القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول
ليلة من رمضان عما سواه وأن الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار
في المسح على بعض الرأس وأن مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره و
إيجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وأن أبا حنيفة يخالفهما
في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا تعلم
هذا من مذاهبهم فضلا عن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات
نزيد الكلام فيها بيانا إن شاء الله تعالى فصل في إعجاز القرآن اعلم و
وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها
من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصا
حته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب
هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به
غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب
ما يقيد الألباب جعل الله ذلك لهم طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون

منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات
وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون
ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال
ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخدعون الألباب ويذللون
الصعاب ويذهبون الإحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد
الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي
ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع
القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات
الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق القليل
الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج
والمهيع الناهج لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك
قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من أبوابها
وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين
وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم إلا رسول
كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت
فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته و
مجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدا
ئعه واعتدل مع إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم
أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا وأشهر في الخطابة رجالا وأكثر في السجع و
الشعر سجالا وأوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم

الرقيقة

التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين
عاما على رؤوس الملاء ليحجبن أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا
من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين وإن كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الإنس
والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن الآية وقال فأتوا بعشر سور مثله مفتريات
وذلك أن المفترى أسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب واللفظ
إذا اتبع المعنى الصحيح كان أصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له
وفلان يكتب كما يريد وللأول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم
صلى الله عليه وسلم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط
أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم
وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته
يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والإغراء بالافتراء وقولهم إن هذا إلا
سحر يؤثر وسحر مستمر وإفك افتراه وأساطير الأولين والمباهتة والرضا
بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون و
الادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا
فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم
وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من
نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين وأتوا مذعنين
من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله
عليه وسلم إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية قال والله إن له لحلاوة

وان عليه لطلاوة

وأن عليه لطلاوة وأن أسفله لمغدق وأن أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر
أبو عبيد أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت
لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد أن
مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كان يوما نائما في المسجد فإذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره
فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع قوما من
أسراء المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فإذا قد جمع فيها ما أنزل على عيسى
بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش
الله ويتقه الآية وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية فقال لها
قاتلك الله ما أفصحك فقالت أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله وأوحينا إلى أم
موسى أن أرضعيه الآية فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين
فهذا نوع من إعجازه منفرد بذاته غير مضاف إلى غيره على التحقيق والصحيح من القولين
وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أتى به معلوم ضرورة
وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه
البلاغة وسبيل من ليس من أهلها علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها
عن معارضته واعتراف المقرين بإعجاز بلاغته وأنت إذا تأملت قوله تعالى
ولكم في القصاص حياة وقوله ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان
قريب وقوله ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم
وقوله وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي الآية وقوله فكلا أخذنا بذنبه
فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الآية وأشباهها من الآي بل أكثر القرآن
حققت ما بينته من إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة

وعجز العرب عن الإتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة صح

عباراتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت
كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر
ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات
عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في
عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام
بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم
اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد
كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها و
لا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها فصل الوجه الثاني
من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب
كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه
وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع
احد مماثلة شيء منه بل حارت عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم
يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نظم او نثر او سجع او رجز او شعر ولما
سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه
ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي
يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان
وفود العرب ترد فاجمعوا رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال
والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا نقول مجنون قال
ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر
قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه

قالو

قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول
قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول
انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء
وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد
ذرني ومن خلقت وحيدا وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد
علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا
والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال
النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا
فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية
انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت
فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو
بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر
وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز
بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته كل
واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل
واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير
واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في
مجموع البلاغة والاسلوب وأتى على ذلك في قول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب
والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة
وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد ا
ختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع في قوة جزالته

وبضاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تأليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في
مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى
وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن انه مما يمكن ان يدخل
مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم
الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت
واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان يأتوا بمثله قاطع
وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة
البشر لازم وهو ابهر آية واقمع دلالة وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال
بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ
الانف واباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا
والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها أهون واسرع بالنجح وقطع
العذر وافحام الخصم لديهم وهم من هم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به
لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره و
اطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبية من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين
مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد ابلسوا فما نبسوا
ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه **فصل** الوجه الثالث
من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد
كما ورد على الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله
ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
الآية وقوله اذا جاء نصر الله الى آخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في

بضع

بضع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف الله المؤمنين في الا
رض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب
كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فأريت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا
سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمس مائة عام فما قدروا
على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف
من حروفه والحمد لله ومنه قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم الآية وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الآية وقوله لن
يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الآية فكان كذلك وما فيه من كشف اسرار المنا
فقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون
في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك
وقوله من الذين هادوا سماعون للكذب الآية وقوله من الذين هادوا يحرفون
الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبديا ما قدروا الله حق قدره
واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم
وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله انا كفيناك المستهزئين
ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان
المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك
من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك
معروفة صحيحة **فصل** الوجه الرابع ما انبأ به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة

والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب
الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به
على نصه فيعترف العالم بذلك [■] بصحته وصدقه وأن مثله لم ينله بتعليم و
قد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة
ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم وقد كان أهل الكتاب كثيرا
ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو
عليهم منه ذكرا كقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف وإخوته وأصحاب
الكهف وذي القرنين ولقمن وابنه وأشباه ذلك من الأنبا وبدء الخلق وما في التوراة والإ
نجيل والزبور وصحف ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما
ذكر منها بل أذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند
حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم
له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه
مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم إياه عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم
ومستودعات سيرهم وإعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن
الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم إسرائيل على نفسه وما حرم
عليهم من الأنعام ومن طيبات كانت أحلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك
مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل وغير ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن
فأجابهم وعرفهم بما أوحي إليه من ذلك أنه أنكر ذلك أو كذبه بل
أكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده إياه كأهل
نجران وابن صوريا وابني أخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة
وادعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي إلى إقامة حجته وكشف

دعوته فقيل له قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى قوله الظالمون
فقرع ووبخ ودعا إلى إحضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي يده
على فضيحته من كتابه بيده ولم يؤثر أن واحدا منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا
أبدا صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله عز وجل يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتان فصل
هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة
في إعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم
لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل إن كانت لكم الدار الآخرة
عند الله خالصة الآية قال أبو إسحق الزجاج في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة
على صحة الرسالة لأنه قال لهم فتمنوا الموت وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبدا فلم يتمنه واحد
منهم وعن النبي صلى الله [■] عليه وسلم قال والذي نفسي
بيده لا يقولها رجل منهم إلا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن
تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما أوحي إليه
إذ لم يتمنه أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد
فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال أبو محمد الأصيلي من أعجب أمرهم أنه لا يوجد
منهم جماعة ولا واحد من يوم أمر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم يقدم عليه
ولا يجيب إليه وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة
من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفة نجران وأبوا الإسلام فأنزل الله عليه آية
المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا منها ورضوا بأداء الجزية وذلك أن
العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم أنه نبي وأنه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم
ومثله قوله وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا إلى قوله فإن

لم تفعلوا ولن تفعلوا فأخبرهم أنهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية أدخل في باب الإ
خبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها **فصل** ومنها الروعة التي
تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله
وإنافة خطره وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم
نفورا كما قال الله تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال
عليه السلام إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم وأما المؤمن فلا
تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه
وتصديقه به قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين
جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وقال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية ويدل
على أن هذا شيء خص به أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي
عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة
قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن و
منهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقو
إلى قوله المسيطرون كاد قلبي يطير وفي رواية وذلك أول ما وقر الإيمان في
قلبي وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه
فتلا عليهم حم فصلت إلى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة بيده
على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف وفي رواية فجعل
النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمدا عليهما
حتى انتهى إلى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه
ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني

بكلام

بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له وقد حكي عن غير واحد
ممن رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي أن ابن المقفع
طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك فرجع
ومحا ما عمل وقال أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر و
كان من أفصح أهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الأندلس في زمنه فحكي أنه
رام شيئا من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها
قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة **فصل** ومن وجوه
إعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون وقال لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا
خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم
مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله إلى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعا
رضته ممتنعة والأعصار كلها طافحة بأهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة
وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع
عتيد فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر
فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح بل المأثور عن
كل من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه **فصل** وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي
الأمة في إعجازه وجوها كثيرة منها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب
على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من
الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد وكتابنا
يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الأزمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها

ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على
قراتها ولهذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي
عجائبه ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا تشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء
ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا
عجبا يهدي الى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا
محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد
من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه
على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ
موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها
كقوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقل
يحييها الذي انشاها اول مرة ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الى ما حواه
من علوم السير وانباء الامم والمواعظ والحكم واخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب
والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله انزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا
فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد
ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل
ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي
الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله
هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء
النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ

فيستعتب

فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود
وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الاولين والآخرين وفي الحديث
قال الله لمحمد عليه السلام اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا
صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم
بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى ان هذا القرآن يقص
على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى
الآية فجمع فيها مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها
على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيها بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج
بنظم القرآن وحسن رصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه وو
عده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام
واحد وسورة منفردة ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد
ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب
واسمح في الآذان واحلى على الافهام فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع
ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها
الواحد منهم فكيف الجما على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان
في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتيام
اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف
معانيه وانقسام السورة الواحدة على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد
واثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائد دون
خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته

وقل رونقه وتقلقلت ألفاظه فتأمل أول ص وما جمع فيها من أخبار الكفار
وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى
الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر من
الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم
قبلهم وإهلاك الله لهم ووعيدها ولأمثال مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم
على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء كل
هذا في أوجز كلام وأحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات
القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن إلى وجوه كثيرة ذكرها
الأئمة لم نذكرها أكثرها داخل في باب بلاغته فلا تحب أن يعد فنا منفردا
في إعجازه إلا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم
يعد في خواصه وفضائله لا إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا
فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس

قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة
عن آياته وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه أخبرنا الحسين بن
محمد الحافظ من كتابه ثنا القاضي سراج بن عبد الله ثنا الأصيلي ثنا
المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفين عن الأ
عمش عن إبرهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الأعمش بمنى ورواه أيضا عن ابن مسعود
الأسود وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق أنه
كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم إن محمدا إن
كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها فسلوا من يأتيكم من بلد
آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندي
عن الضحاك نحوه وقال فقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا
أرأوا ذلك أم لا فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر
مستمر ورواه أيضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء أربعة عن عبد الله وقد رواه
غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم أنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة
وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية أبي حذيفة الأرحبي انشق القمر ونحن
مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن أنس سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم
آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن أنس قتادة وفي
رواية معمر وغيره عن قتادة عنه أراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت
الساعة ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن
عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه
عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن أبي عمران الأزدي وأكثر طرق
هذه الأحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول فإنه لو
كان هذا لم يخف على أهل الأرض إذ هو شيء ظاهر لجميعهم إذ لم ينقل لنا عن
أهل الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل إلينا عمن لا يجوز
تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة إذ ليس القمر في حد واحد
لجميع الأرض فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد

ما هو من مقابليهم من أقطار الأرض أو يحول بين قوم وبينه سحابة أو جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون وإيجاف الأبواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئا إلا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الأحيان بالليل في السماء ولا علم عند أحد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والأرض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته عن ابن إسحاق لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل

في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته أما الأحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من أصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم أنس

وجابر

وجابر وابن مسعود حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه نا القاضي عيسى بن سهل نا أبو القاسم حاتم بن محمد نا أبو عمر بن الفخار نا أبو عيسى نا يحيى نا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم ورواه أيضا عن أنس قتادة وقال بإناء فيه ماء يغمر أصابعه أو لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه أيضا حميد وثابت والحسن عن أنس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه أيضا وهم نحو من سبعين رجلا وأما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فأتي بماء فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن أبي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى مثله عن أنس عن جابر وفيه أنه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه

وسلم يا جابر ناد بالوضوء وذكر الحديث بطوله وأنه لم يجد إلا قطرة في عزلاء شجب
فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا أدري ما هو وقال ناد
بجفنة الركب فأتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم
بسط يده في الجفنة وفرق أصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرأيت
الماء يفور من بين أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وأمر الناس
بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي أحد له حاجة فرفع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي أتي النبي صلى الله عليه
وسلم في بعض أسفاره بإداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها
في ركوة ووضع إصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون فيتوضؤون
ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل
هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة إلى المحدث به لأنهم
كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولأنهم
كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور
الجم الغفير له ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه
وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له فصل ومما يشبه هذا من معجزاته
تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته مما روى مالك في الموطأ عن
معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وأنهم وردوا العين وهي تبض بشيء
من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى
الناس قال في حديث ابن إسحاق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق
ثم قال يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملئ جنانا

وفي

وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع وحديثه أتم في قصة الحديبية وهم أربع
عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء وأتي بدلو منها فبصق
ودعا وقال سلمة فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت فأرووا أنفسهم وركابهم
وفي غير هذين الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فأ
خرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا
بعطن وعن أبي قتادة وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم العطش في بعض أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها
فالله أعلم نفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملؤوا كل إناء معهم فخيل
إلي أنها كما أخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروي مثله عمران بن
حصين وذكر الطبري حديث أبي قتادة على غير ما ذكره أهل الصحيح وأن
النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم مددا لأهل مؤتة عند ما بلغه قتل الأمراء وذكر
حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه إعلامهم أنهم يفقدون
الماء في غد وذكر حديث الميضأة قال والقوم زهاء ثلاث مائة
وفي كتاب مسلم أنه قال لأبي قتادة احفظ علي ميضأتك فإنه سيكون لها
نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين أصاب النبي صلى الله
عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض أسفارهم فوجه رجلين من أصحابه وأعلمهما
أنهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها وأتيا بها
النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن يقول
ثم أعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وأمر الناس فملؤوا أسقيتهم حتى لم يدعوا
شيئا إلا ملؤوه قال عمران ويخيل إلي أنهما لم تزدادا إلا امتلاء ثم أمر

فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك شيئا
ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الأكوع قال قال نبي الله صلى الله عليه
وسلم هل من وضوء فجاء رجل بإداوة فيها نطفة فأفرغها في قدح فتوضأنا
كلنا ندغفقه دغفقة أربع عشرة مائة وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر
ما أصابهم من العطش حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب
أبو بكر رضي الله عنه في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت
فملؤوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال
للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل
النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال اشرب
والحديث في هذا الباب كثير ومنه الإجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه

فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه
حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله نا العذري نا
الرازي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا سلمة بن شبيب
نا الحسن بن أعين نا معقل عن أبي الزبير عن جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله
عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه
حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام
بكم ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور وإطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين
أو سبعين رجلا من أقراص من شعير جاء به أنس تحت يده أي إبطه فأمر
بها ففتت وقال فيها ما شاء الله أن يقول وحديث جابر في إطعامه صلى الله عليه
وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فأقسم
بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا

ليخبز

ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك
رواه عن جابر سعيد بن ميناء وأيمن وحديث أبي أيوب أنه صنع لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى
تركوه وما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع قال أبو أيوب فأكل من طعامي
مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم
بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون
ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين
ومائة وذكر في الحديث أنه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها
قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم
جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير ومن
ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه ومثله لسلمة بن الأكوع
وأبي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة أصابت الناس مع النبي صلى الله عليه
وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الأزواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام
وفوق ذلك وأعلاهم الذي أتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة
فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس بأوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤوه
وبقي منه وعن أبي هريرة قال أمرني النبي صلى الله عليه وسلم أن أدعو
له أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا
صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت
إلا أن فيها أثر الأصابع وعن علي بن أبي طالب رضي الله
عنه قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا

ثم قال ادع ستين وكان مثل
ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا
حتى تركوه صح

وكانوا اربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب **وقال** انس ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى املأ البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان القوم احدا او اثنين وسبعين **وامر** عمر بن الخطاب ان يزود اربع مائة راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربع مائة راكب من مزينة **ومن** ذلك حديث جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في تمرها سنين كفاف دينهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون في كل سنة **وفي** رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فتعجبوا من ذلك **وقال** ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فأتني به فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر ما جئت به فأكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر

وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب **وفي** رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله **وذكرت** مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة **ومنه** ايضا حديث ابي هريرة حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الآخر حتى روي جميعهم قال فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فأخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة **وفي** حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر للنبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فأكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي **ومن** حديث الاجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فأتيته بذلك فطعن في رأسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن **وفي** حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا

ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلاث
مائة حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا
عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال
ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين
وضعت كان اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع
على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من
التابعين ثم من لا يعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة
لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر

فصل

في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته حدثنا احمد بن
محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر
بن المهندس عن ابي القاسم البغوي ثنا احمد بن عمران الاخنسي ثنا ابو حيان
التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي
قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول
قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها فانها تجيبك قال
فدعوتها فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت
انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة قال سال اعرابي النبي صلى الله عليه
وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال
فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم
جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها
فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت فقال الاعرابي
ائذن لي ان اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد
لزوجها قال فاذن لي ان اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي
الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي
فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها
فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي
يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف
بينهما قال التئما علي باذن الله فالتامتا وفي رواية اخرى فقال
يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك
حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر
وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان
قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقفة فقال براسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل يعني مكانا
لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس
فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات قال
انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان تاتين لمخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق
لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى

حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن
حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله
عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر وديتين
فانضمتا وفي رواية اشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين
وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل في غزاة حنين وعن
يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء راها من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استاذنت ان تسلم علي وفي حديث
عبد الله بن مسعود آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا شجرة
وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك
قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر
مثل الحديث الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل وهذا ابن عمر وبريدة
وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك
وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة
نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها
من القوة حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في
غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين
حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة
ومن ذلك حديث انس ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم وراه
حزينا اتحب ان اريك اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت

بين

بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل
قال اللهم ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه
صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لا له وذكر ابن اسحق ان
النبي صلى الله عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت
بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه صلى الله عليه وسلم شكا الى
ربه من قومه وانهم يخوفونه وسأله اية يعلم بها الا مخافة عليه فاوحى اليه ان
ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك فجعل يخط الارض
خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال
يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحو منه عن عمرو وقال فيه ارني اية لا ابالي
من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال
لاعرابي ارأيت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله
قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه
الترمذي وقال هذا حديث صحيح ه ه

فصل

في قصة حنين الجذع ه ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور
منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم
ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن
عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب
ابن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث
انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع
نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر
سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس حتى ارتج المسجد

بجواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفي رواية المطلب
حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال
النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا بكا لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه
لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد و
إسحق عن أنس وفي حديث أبي فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليه
فلما هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرض وعاد رفاتا وذكر
الإسفرايني أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض فالتزمه
ثم أمره فعاد إلى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم
إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك
ويجدد لك خوص وثمرة وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك
ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل
مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه
وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن إذا حدث
بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا
إليه لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه رواه عن جابر حفص بن عبيد الله
ويقال عبيد الله بن حفص وأيمن وأبو نضرة وابن المسيب وسعيد بن أبي كرب
وكريب وأبو صالح ورواه عن أنس بن مالك الحسن وثابت وإسحق بن أبي طلحة
ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حية ورواه أبو نضرة وأبو الوداك عن
أبي سعيد وعمار بن أبي عمار عن ابن عباس وأبو حازم وعباس بن سهل
بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن

عن أبيه والطفيل بن أبي عن أبيه قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
فهذا حديث كما تراه خرجه أهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم
من التابعين ضعفهم إلى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى
بهذا الباب والله المثبت على الصواب فصل ومثل هذا في سائر الجمادات
حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن
المرابط ثنا المهلب ثنا أبو القاسم ثنا أبو الحسن القابسي ثنا المروزي ثنا الفربري
ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا أبو أحمد الزبيري ثنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم قال
عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الـ
الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن
نسمع تسبيحه وقال أنس أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم
في أيدينا فما سبحن وروي مثله أبو ذر وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان
وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها
فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر
بن سمرة عنه عليه السلام إني لأعرف حجرا كان بمكة يسلم علي قيل إنه الحجر الأسود
وعن عائشة لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام
عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله قال لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر
ولا شجر إلا سجد له وفي حديث العباس إذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب
وحوائط البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال مرض النبي صلى الله
عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وعن أنس قال صعد النبي

صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي
وصديق وشهيدان ومثله عن أبي هريرة بحراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال
فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد والخبر بحراء أيضا عن عثمان قال ومعه
عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين
وفي حديث سعيد بن زيد أيضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي
أنه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فإني أخاف
أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء إلي يا رسول الله وروى ابن عمر
أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد
الجبار نفسه أنا الجبار أنا الجبار أنا الكبير المتعالي فرجف المنبر حتى قلنا
ليخرن عنه وعن ابن عباس قال كان حول البيت ستون وثلاث مائة
صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب إليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل
الآية فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه ولا لقفاه إلا وقع لوجهه حتى
ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول
جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في
ابتداء أمره إذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج إلى أحد فخرج وجعل
يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين
يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك قال إنه
لم يبق شجر ولا حجر إلا خر له ساجدا ولا تسجد إلا لنبي وذكر القصة ثم قال وأقبل
النبي صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم
سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء إليه فصل في الآيات في ضروب

الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ ثنا أبي ثنا القاضي يونس ثنا
أبو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم عن أبيه وجده قالا ثنا أبو العلاء أحمد بن
عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا يونس بن عمرو ثنا مجاهد عن عائشة قالت كان
عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت
مكانه فلم يجئ ولم يذهب وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب
وروي عن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد
صاد ضبا فقال ما هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى لا آمنت بك أو
يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك
يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه
وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا
قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك
وخاب من كذبك فأسلم الأعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن
أبي سعيد الخدري قال بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فأخذها
الراعي منه فأقعى الذئب وقال للراعي ألا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال
الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب
من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق فأتى
الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم
ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذئب عن أبي
هريرة وفي بعض الطرق عن أبي هريرة فقال الذئب أنت أعجب واقفا على
غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا قد فتحت له أبواب

الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب
فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع
فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه
وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها
كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة
والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب القصة
ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه
جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ
ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من
ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال
ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي مثل
هذا الخبر انه جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس قال لما تعجب
من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه
وسلم فاذا طائر سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب
من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت
جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبي صلى الله عليه
وسلم واسلم وامره وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم
فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك
امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها
وعن انس دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط انصاري وابو بكر
وعمر ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر

نحن

نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم
حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك
وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل
احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم
دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء و
الارض شيء لا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد
الله بن ابي اوفى وفي خبر اخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم
سألهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لهم انه شكا كثرة العمل وقلة العلف
وفي رواية انه شكا الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق
العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله
عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب
الوحوش عنها ونداءهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته حتى
ماتت ذكره الاسفرايني وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه
وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن انس وزيد بن ارقم
والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت
تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي
حديث اخر وان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون له ورأوا ذلك
قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم
يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قال قرب الى النبي صلى الله
عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن

اليهم باينهن يبدأ وعن ام سلمة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته
ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي
خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال
وتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي
وقال يا رسول الله لك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت
تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن
هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك
وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت
انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني
على الطريق واخذ عليه السلام باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه
ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي
عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له
اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه
الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه
وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت
عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز
التي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش
ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاث مائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها وما
اراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه

[margin:] اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى ام سلمة صح

رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي جابها هو
الذي ذهب بها وقال لفرسه عليه السلام وقد قام الى الصلاة في بعض
اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلة فما حرك عضوا
منه حتى صلى صلى الله عليه وسلم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا بالمشهور
من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة فصل في احياء الموتى وكلامهم وكلام
الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه
بقرائتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى
التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا ثنا ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابو زيد عبد
الرحمن بن يحيى ثنا احمد بن سعيد ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا وهب بن بقية عن خالد
هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان يهودية اهدت للنبي
صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه
وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة
فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك
الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت وقد روى
هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك علي فقالوا
انقتلها قال لا وكذلك عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها
ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها
وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الاخر عن
انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي
مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالان اوان قطعت ابهري وحكى ابن

إسحق لئن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع
ما أكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون أجمع أهل الحديث أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات
في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر وفي حديث البزار عن أبي سعيد فذكر
مثله إلا أنه قال في آخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فأكلنا فلم تضر منا أحدا
قال القاضي أبو الفضل وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح وخرجه الأئمة
وهو حديث مشهور واختلف أئمة النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام
يخلقه الله في الشاة الميتة أو الحجر أو الشجر وحروف وأصوات يحدثها الله فيها
ويسمعها منها دون تغيير أشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ أبي الحسن
والقاضي أبي بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها أولا ثم الكلام بعده
وحكي هذا أيضا عن شيخنا أبي الحسن وكل محتمل والله أعلم إذ لم نجعل الحياة شرطا
لوجود الحروف والأصوات إذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فأما
إذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها إذ لا يوجد
كلام النفس إلا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في إحالة وجود الكلام
اللفظي والحروف والأصوات إلا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق
بالحروف والأصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال إن الله خلق فيها
حياة وخرق لها فما ولسانا وآلة أمكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم
به آكد من التهمم بنقل تسبيحه أو حنينه ولم ينقل أحد من أهل السير والرواية شيئا
من ذلك فدل على سقوط دعواه مع أنه لا ضرورة إليه في النظر والموفق الله وروى
وكيع رفعه عن فهد بن عطية أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصبي قد شب
لم يتكلم قط فقال من أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن معرض

بن معيقيب قال رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد وهو
حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب
فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن
قال أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق
معه إلى الوادي وناداها باسمها يا فلانة أجيبيني بإذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك
فقال لها إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت
الله خيرا لي منهما وعن أنس أن شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها
فقالت مات ابني فقلنا نعم قالت اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء
أن تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم
وطعمنا وروي عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس
بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر
الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فإذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير أن زيد
بن خارجة خر ميتا في بعض أزقة المدينة فرفع وسجي إذ سمعوه بين العشاءين والنساء
يصرخن حوله يقول أنصتوا أنصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين
كان ذلك في الكتاب الأول ثم قال صدق صدق وذكر أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال
السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان ه

فصل في إبراء المرضى وذوي العاهات أخبرنا أبو الحسن علي
بن مشرف فيما أجازنيه وقرأته على غيره ثنا أبو إسحق الحبال ثنا أبو
محمد بن النحاس ثنا ابن الأعرابي عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي
عن محمد بن إسحق ثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة

ذكرهم في بقضية أحد بطولها قال وقالوا وقال سعد بن أبي وقاص إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوسه حتى اندقت وأصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها أبو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف أن أعمى قال يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي أن ابن ملاعب الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يرى أن قد هزئ به فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فويك أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرأت وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرأت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق إذ

انكسرت

إذ انكسرت فبرأ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن أبي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه أو عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته أيضا أن خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فسعى وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها أثر وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت إنما أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها

فصل

في إجابة دعائه وهذا باب واسع جدا وإجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا أبو محمد العتابي بقراءتي عليه ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ثنا أبو الحسن القابسي ثنا

ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن
ابي الاسود ثنا حرمي ثنا شعبة عن قتادة عن انس قال قالت امي يا رسول الله
خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته
ومن رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي
ليتعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من
رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي
لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال
عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله
عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي و
اخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت
احداهن لانه طلقها في مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد
صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق
مرة بعير فيها سبع مائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها
وباقتابها واحلاسها ودعا لمعوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد
بن ابي وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا له ودعا بعز الاسلام بعمر
او بابي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس
في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت
ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا وقال للنابغة لا
يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا
اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة سنة وقيل اكثر من هذا
ودعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر و

ترجمان

استجيب صح

وقال لابي قتادة افلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة صح

وترجمان القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما
اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من
المال ودعا بمثله لعروة بن ابي الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع
حتى اربح اربعين الفا وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح
فيه وروي مثل هذا لغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعا فجاء بها اعصار
ريح حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة فاسلمت ودعا لعلي ان يكفى الحر
والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه
حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته ان لا يجيعها الله قالت فما جعت بعد وسأله
الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور بين عينيه فقال
يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في
الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش
فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه
فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار البلاد ودعا على
صبي قطع عليه الصلاة ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل رآه يأكل
بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه و
قال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله
الاسد وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش
حين وضعوا السلى على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال
فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز
عند النبي صلى الله عليه وسلم اي لا فراه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات
ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته الارض مرات

فالقوم بين صدين ورضموا عليه بالحجارة الصد جانب الوادي وجحد رجل
بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد
النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له
فيها فاصبحت شائلة برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به

فصل في كرامته وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره اخبرنا
احمد بن محمد ثنا ابو ذر الهروي اجازة وثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو
عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا ثنا ابو الوليد القاضي ثنا ابو ذر ثنا ابو
محمد وابو اسحق وابو الهيثم ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد عن
قتادة عن انس بن مالك ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او به قطاف وقال غيره بطاء فلما
رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد اعيا فنشط
حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه
وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا وكانت شعرات من
شعره في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن
اسماء بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وحدثنا القاضي ابو علي عن شيخه
ابي القاسم بن المأمون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه
وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب
من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها
ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد وبزق
في بئر كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء

فسال

وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير

فسأل عنه فقيل اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب
فطاب واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين
لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام مالك عكة تهدي فيها
للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله عليه وسلم الا تعصرها ثم
دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فيأتيها بنوها يسألونها الادم وليس عندهم شيء فتعمد
اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل في افواه
الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه
وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة ودية يغرسها لهم كلها
تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام صلى الله عليه وسلم وغرسها له
بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم
وردها فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة
من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي
عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت آخرها فما برحت اجد شبعها
اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى قتادة بن
النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به
فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى
سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل
بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال
اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة

أبيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة أم معبد وأعنز معوية بن ثور وشاة أنس وغنم حليمة مرضعته وشارف فيها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده أصحابه سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فإذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح على رأس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروي مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة ورأسه أبيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت عليه يده من شعره أسود فكان يدعى الأغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرئوا وأتاه رجل به أدرة

فامره

فأمره أن ينضحها بماء مج فيه ففعل فبرأ وعن طاوس قال لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم بأحد به مس فصك في صدره إلا ذهب والمس الجنون ومج في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك وأخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم وشكا إليه أبو هريرة النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما

فصل

ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري إجازة وقراءة على غيره قال أبو بكر ثنا أبو علي التستري ثنا أبو عمر الهاشمي ثنا ابن اللؤلؤي ثنا أبو داود حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هاؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ معه ثلاث مائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه

شيئا يكون [illegible]

وقبلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك
طائر جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به
اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة و
بيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المرأة من الحيرة الى
مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يدي علي في غد يومه
وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى
وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك سبيل
من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانها ستكون
لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه صحفة
وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال اخر الحديث وانتم
اليوم خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس
والروم رد الله باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك
والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده و
قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر
وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلوم و
ظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له
الارض فاري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي
له منها وكذلك كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض
الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة
من الامم ولم يمتد في الجنوب والشمال مثل ذلك وقوله لا يزال اهل الغرب
ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم

المختصون

المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد
ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي اخر حديث من رواية ابي امامة لا تزال
طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم امر الله
وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك
بني امية وولاية معوية وذم بني امية مال الله دولا وخروج ولد العباس
بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال
اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها الذي يخضب
هذه من هذه اي لحيته من راسه وانه قسيم النار يدخل اولياؤه
الجنة واعداؤه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة
ممن ينتسب اليه من الروافض كفروه وقال يقتل عثمان وهو يقرأ في
المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر
دمه على قوله فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة
الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى
كثير وتنجوا بعد ما كادت فنبحت على عائشة عند خروجها الى البصرة وان
عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معوية وقال لعبد الله بن الزبير
ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين
انه من اهل النار فقتل نفسه قال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب
وحذيفة اخركم موتا في النار فكان بعضهم يسئل عن بعض وكان
سمرة اخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال الخلافة في
قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال يكون في
ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وان مسيلمة يعقره الله

ووضاه وانجاذه

وان فاطمة اول لحوقا به واهله وانذر بالردة وبان الخلافة بعده ثلاثون ثم تكون ملكا
فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي وقال ان هذا الامر بدا نبوة ورحمة
ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروة وفسادا
في الامة واخبر بشان اويس القرني وبامراء يؤخرون الصلاة عن وقتها وسيكون
في امتي ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث اخر ثلاثون دجالا كذابا احدهم
الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم
العجم ياكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس
بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم ثم ياتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون
ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا ياتي زمان الا والذي بعده
شر منه وقال هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة
راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية
والرافضة وسب اخر هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في
الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون
بعده اثرة واخبر بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم
التحليق ويرى رعاء الغنم رؤس الناس والعراة الحفاة يتبارون في البنيان
وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه
هو يغزوهم واخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد
من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة وان الدين لو
كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح في غزاته
فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا وقال لقوم
ذلك

لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة
فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم
بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث هي
وناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان كتاب حاطب الى
اهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله
عليه وسلم فلما جاء عمير الى النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذي تركه عمه
العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم
بانه سيقتل ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب انه ياكله كلب الله وعن مصارع
اهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح
الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك
اخرون واخبر بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد
وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز اذ ورد عليه
رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم
اخبر ابا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا
اخرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه
وحده وموته واخبر بقتل الحسين بالطف واخرج تربة وقال
فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت
يده في الجهاد وقال في الذين كانوا معه على حراء اثبت فانما عليك نبي
وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد وقال
لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما لعمر البسهما اياه و

واخبر ان اسرعهن لحوقا به اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها في الصدقة

وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها خزاين الارض يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فيتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو عسى ان تقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصايرهم وقال لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم الى ما اخبر به جلساه من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المومنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحا واعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بير ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسرا ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم تات بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة وايات حلولها وذكر النشر والحشر

واخبار

واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها في الصحيح وعند الايمة

فصل في عصمة الله عز وجل له من الناس وكفايته من اذاه قال الله تعالى عز وجل والله يعصمك من الناس وقال سبحانه واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال تبارك وتعالى اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا صلى الله عليه وسلم اعداه المشركين وقيل غير هذا وقال تعالى انا كفيناك المستهزيين وقال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي بقراتي عليه والقاضي الحافظ ابو بكر بن عبد الله المعافري قالا نا ابو الحسين الصيرفي نا ابو يعلى البغدادي الفقيه حدثنا ابو العباس المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ نا عبد بن حميد نا مسلم بن ابراهيم نا الحرث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت الاية والله يعصمك من الناس فاخرج النبي صلى الله عليه وسلم راسه من القبة وقال لهم ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الاية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحرث صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جيتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من

كفاية واكثرها مر

ابو علي السنجي رحمهما

اصحابه لقضاء حاجة فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي انه
وقعت له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحرث
وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم
قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض
طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت انه ملك
فاسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفي رواية الخطابي ان
غورث بن الحرث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به
الا وهو قائم على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من
وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر وقيل
في قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم الاية وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت
هذه الاية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت
حمالة الحطب تضع العضاة وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانما يطؤها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت
يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة
فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه
وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته
لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاص قال تواعدنا على النبي
صلى الله عليه وسلم حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي

وتابع

بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم
تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه
وعن عمر قال تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى
من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفر هاربين فكانت من مقدما
مات اسلام عمر وهنا العبرة المشهورة والكفاية التامة عند ما اخا
فته قريش واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على
رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب على رؤسهم وخلص منهم و
حمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الايات ومن العنكبوت
الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه
وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان
على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته
مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي
ابو بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه
النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام
فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم اتينا
فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها
فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه
وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبي
صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس

كفيتم ما ها هنا وقيل بل قال لهما انا كما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه
ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر اخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج
يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي
ما خرج اليه حتى رجع الى موضعه وجاء فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل
بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست
يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل
فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن راه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر انه عرض لي دونه فحل ما رأيت
مثله قط هم بي ان ياكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا
لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم صح
وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر ان في
هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الايتين ومن ذلك ما ذكره
ابن اسحق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض اطامهم
فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحا فقام النبي صلى الله عليه
وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي
انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين الذين قتل عمرو بن امية
فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم
على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد
حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا

جهل

ان ابا جهل وعد قريشا لئن راى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي ليطأن رقبته
فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا
ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت
على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة
قد ملأت الارض فقال عليه السلام تلك الملائكة لو دنا لاختطفته
عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى
الى اخر السورة ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان
حمزة قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط
الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ
من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني
فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وعن
فضالة بن عمرو قال اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف
بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت
لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها
حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد
بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له انا اشغل
عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له
والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك ومن عصمته له
تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته
بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه
مسيرة شهر كما قال عليه السلام فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه

وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه صح

لما له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين
ومعرفته بامور شرايعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته
وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون
الماضية من لدن آدم الى زمنه وحفظ شرايعهم وكتبهم ووعي سيرهم
وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم
واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة
من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبات علومها واخبارهم بما
كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة
بضروب فصاحاتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها
والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم
للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل
مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن
مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل
جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب
اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به
انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا
الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض
والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه صلى الله
عليه وسلم فيها قدوة واصولا في علمهم لقوله عليه السلام الرؤيا لاول عابر وهي على
رجل طاير وقوله الرؤيا ثلث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من
الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المومن تكذب وقوله اصل كل داء

البردة وما روي عنه في حديث ابي هريرة من قوله المعدة حوض البدن والعروق
اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه
الدارقطني وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم
يوم سبعة عشر وتسعة عشر واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية وقوله
ما ملا ابن آدم وعاء شرا من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث
للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سبا ارجل هو ام امراة ام ارض فقال رجل
ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشام اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب
قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا فيه
من ذلك وقوله حمير راس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها
وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
الله السماوات والارض وقوله في الحوض زواياه سواء وقوله في حديث الذكر
ان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان والف وخمس مائة في الميزان
وقوله وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله
لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه
اذكر للممل هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى
قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها لقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم
رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس رض وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية
انه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء
وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية
انه عليه السلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه صلى الله
عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على بعضه

اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنه سنه و
هي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة
اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم
به ولا ببعضه الا من مارس الدروس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره
وهو رجل كما قال الله امي لم يكتب ولم يقرا ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله
تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية انما كانت غاية معارف
العرب النسب واخبار اوايلها والشعر والبيان وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم
ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله
وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما
نصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان الذي
يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فان الذي
نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير
من القران وظهور ما لا ينعد من الايات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرا على
النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس
عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن
معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي
الكن نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم في
اسمه بين اظهرهم يكلمونهم مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء
من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف
واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على
كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فياخذ

عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج على شيعته كفعل النضر بن الحارث
بما كان يمخرق به من اخباره كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا
كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين
اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة
او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في
سفره في صحبة قومه ورفاقه عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة
من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان
مجيء ما اتى به في معجز القران قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل شبهة ومجليا لكل امر

فصل ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر اياته انباؤه
مع الملايكة والجن وامداد الله له بالملايكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم
قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل الاية وقال اذ يوحي ربك
الى الملايكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا وقال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم
اني ممدكم بالف من الملايكة الاية وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران
الاية حدثنا سفين بن العاص الفقيه سماعي عليه ثنا ابو الليث السمرقندي ثنا عبد
الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفين ثنا مسلم ثنا عبيد الله بن معاذ
ثنا ابي ثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد راى
من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل في صورته له ستماية جناح والخبر في محادثته
مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملايكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة
الاسراء مشهور وقد راهم بحضرته جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة فراى اصحابه جبريل
عليه السلام في صورة رجل يساله عن الاسلام والايمان وراى ابن عباس واسامة وغيرهما
عنده جبريل في صورة دحية وراى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكايل في صورة رجلين

بصحبة من هذه صفته ولا نشا بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور ولا عرف صح

عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر
وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى أبو سفيان بن الحارث
يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملا
ئكة تصافح عمران بن الحصين ورأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في الكعبة
فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم
برجال الزط وذكر ابن سعد أن مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية ملك
على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك
لست بمصعب فعلم أنه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب
أنه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال صلى الله عليه وسلم نغمة الجن من
أنت قال أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده في حديث
طويل وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورة من القرآن وذكر الواقدي
قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها
بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال عليه السلام إن شيطانا
تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي
ملكا لا ينبغي الآية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع فصل ومن دلائل نبوته
وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأحبار وعلماء أهل الكتب
من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من
ذلك في أشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والأوس بن حارثة وكعب بن لؤي وسفيان
بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من أمر زيد

بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم
صاحب تبع من صفته وخبره وما ألفي من ذلك في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء
وبينوه ونقله عنها ثقات من أسلم منهم مثل ابن سلام وبني سعية وابن يامين ومخيريق
وكعب وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشة وصاحب بصرى
وضغاطر وأسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة وأساقف
نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة
عالما النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن
أخطب وأخوه وكعب بن أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله
الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والأخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع
أسماع يهود والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه واحتج عليهم بما انطوت
عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم ألسنتهم ببيان أمره ودعوتهم للمباهلة
على الكاذب فما منهم إلا من نفر عن معارضته وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره ولو وجدوا
خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال وتخريب الديار ونبذ القتال
وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى ما أنذر به الكهان
مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وأفعى نجران وجذل
بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز وفاطمة
بنت النعمان ومن لا يعد كثرة إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام من نبوته وحلول
وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب وأجواف الصور وما وجد
من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم
ما أكثره مشهور وإسلام من أسلم بسبب ذلك معلوم مذكور فصل ومن ذلك ما
ظهر من الآيات عند مولده وما حكته أمه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا رأسه

عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما
رأته اذ ذاك ام عثمان ابن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما
تنظر الا النور وقول الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام على يدي
واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت
الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها له
ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته وما جرى من العجائب
ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار
فارس وكان لها الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب واله وهو
صغير شبعوا ورووا فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد
ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا
كحيلا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق
السمع وما نشأ عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله
تعالى به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله
على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما با
لك قال اني نهيت عن التعري ومن ذلك اظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية
ان خديجة رض ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك
لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره ومن ذلك انه نزل في
بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت هي فاشرقت
وتدلت عليه اغصانها بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الآخر حتى اظلته وما
ذكر من انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده
ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره

في المدينة وفي بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له
عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة
على جسده على ما رويناه في بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم يستاذن على
غيره قبله ونداؤهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا القميص عنه عند غسله وما روي من تعزية الخضر
والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه من كرامته وبركته في حياته وموته
كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته **فصل** قال القاضي ابو الفضل
قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة
في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث
الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح
واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها
طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصى ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات
عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من معجزات الرسل بوجهين احدهما
كثرتها وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها او ما هو ابلغ منها
وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم
من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله واما كونها كثيرة فهذا القران وكله معجز واقل
ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها
وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد اخرون ان كل جملة منتظمة
منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فاتوا بسورة
مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا
ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم
وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزأ القران على نسبة عدد انا اعطيناك

الكوثر ازيد من سبعة آلاف جزء وكل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين من طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها معجز بنفسه فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه السلام في هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جمله تبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احيا الميت وابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء ثم بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والخبر والشعر والكهانة فانزل الله عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو وابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها

وبين

وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيامة بينة الحجة لكل امة تأتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل ولا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه السلام بقوله فيما ثنا القاضي الشهيد ابو علي ثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي من الانبياء الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجو اني اكثرهم تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شا الله وذهب غير واحد من العلما في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفا كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان هذا من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض الجفن عليه ويغضى ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها

أو على أحد مذهبي أهل السنة من أن الإتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن
ذلك قبل ولا يكون بعد لأن الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليها وبين المذهبين فرق
بين وعليهما جميعا فترك العرب الإتيان بما في مقدورهم أو ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم
بالبلاء والجلاء والسباء والإذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والأموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز
والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله والنكول عن معارضته وأنهم منعوا عن
شيء هو من جنس مقدورهم وإلى هذا ذهب الإمام أبو المعالي الجويني وغيره قال وهذا
عندنا أبلغ في خرق العادة بالأفعال البديعة في أنفسها كقلب العصا حية ونحوها فإنه قد
يسبق إلى بال الناظر بدارا أن ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن
وفضل علم إلى أن يرد ذلك صحيح النظر وأما التحدي للخلائق مئين من السنين بكلام
من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها إلا منع
الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي أن يمنع الله القيام لكان ذلك من أبهر آية وأظهر
دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الأنبياء
حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم
أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم وغيرهم من القبط وبني
إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز
عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا
المسيح مع إجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات
الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلظ أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي
هو أدنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع
وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول

[Margin: عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام صح]

صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته
وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ور
فضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نصرته
وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق لكنا
قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون
هذه المسالك وظهورها وبالله أستعين   يتلوه في الجزء الذي يليه

القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام قال القاضي أبو الفضل
وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في أربعة أبواب على ما ذكرناه أول الكتاب ومجموعها في وجوب
تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلوة والتسليم
وزيارة قبره الباب الأول في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته إذا تقرر
بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به قال الله
تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا وقال إنا أرسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي
الآية فالإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم إيمان
إلا به ولا يصح إسلام إلا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا أبو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه ثنا الإمام
أبو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا أبو الحسين
ثنا أمية بن بسطام ثنا يزيد بن زريع ثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب
عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل
الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا
ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي
أبو الفضل والإيمان به عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه
في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول

رسول الله فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الإيمان
به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر أمرت أن أقاتل
الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا
في حديث جبريل إذ قال أخبرني عن الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم
أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وذكر أركان الإسلام ثم
سأله عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث
فقد قرر أن الإيمان به محتاج إلى العقد بالجنان والإسلام به مضطر
إلى النطق باللسان فهذه الحال المحمودة التامة وأما الحال المذمومة فالشهادة
باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى إذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد
إن المنافقين لكاذبون أي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم
وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم
ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الإيمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه إذ لم يكن معهم
ولحقوا بالكافرين في الدرك الأسفل من النار وبقي عليهم حكم الإسلام
بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا المتعلقة بالأئمة وحكام المسلمين الذين
أحكامهم على الظواهر بما أظهروه من علامة الإسلام إذ لم يجعل للبشر سبيل
إلى السرائر ولا أمروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها
وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما
جعل في حديث جبريل الشهادة من الإسلام والتصديق من الإيمان وبقيت
حالتان أخريان بين هذين إحداهما أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت
للشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة

به قد لا يعده بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن
بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية
أن يصدق بقلبه ثم يطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد
في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه أيضا فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة
من جملة الأعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده
شهادة إذ الشهادة إنشاء عقد والتزام إيمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم
التصديق مع المهلة إلا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضي إلى متسع من الكلام في الإسلام
والإيمان وأبوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق
لا يصح فيه جملة وإنما يرجع إلى ما زاد عليه من عمل أو قد يعرض فيه لاختلاف صفاته
وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة
وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا
إن شاء الله تعالى فصل وأما وجوب طاعته فإذا وجب الإيمان به وتصديقه
فيما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك مما أتى به قال الله تعالى يا أيها الذين
آمنوا أطيعوا الله ورسوله وقال قل أطيعوا الله والرسول وأطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون وقال وإن تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول
الآية وقال وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله
طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب وأوعد
على مخالفته بسوء العقاب وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه قال المفسرون
والأئمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا ما أرسل الله من رسول

من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا من يطع الرسول في سنته
يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام فقال وما آتاكم
الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال أطيعوا الله في فرائضه والرسول
في سنته وقيل أطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال أطيعوا الله
بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي
عليه حدثنا حاتم بن محمد نا أبو الحسن علي بن محمد بن خلف نا محمد بن أحمد نا محمد بن يوسف
نا البخاري نا عبدان انا عبد الله انا يونس عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد
الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني
فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى
أميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله إذ الله أمر بطاعته فطاعته امتثال
لما أمر الله به وطاعة له وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار
يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال
عليه السلام إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وفي
حديث أبي هريرة عنه عليه السلام كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى قال
من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى وفي الحديث الآخر الصحيح عنه عليه السلام
مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني
وإني أنا النذير العريان فالنجا فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم
فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به
من الحق وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا
فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل

من المدبر فالدار الجنة والداعي محمد من اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا
فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس فصل واما وجوب اتباعه وامتثال سنته
والاقتداء بهديه فقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن
بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك الى قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد
وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر
الاية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته
وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب
للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة
فامرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله ارسله بالهدى
ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم
محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوائهم
وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك
الاعتراض عليه وروي عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله
تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية وروي ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف
وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله الاية
وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته
فافعلوا ما امرتكم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه
بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال
الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل

تعصي الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له
وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى
الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد
غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه ثنا ابو الاصبغ عيسى
بن سهل وثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه قراءة عليه قالا ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو حفص
الجهني ثنا ابو بكر الاجري ثنا ابراهيم بن موسى الجوزي ثنا داود بن رشيد ثنا الوليد
بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي
وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ
واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث
جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين
احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عائشة صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال
ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية
وروي عنه عليه السلام انه قال القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم
فمن استمسك بحديثي وفهمه جاء مع القران ومن تهاون بالقران وحديثي
خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي
فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران قال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه الاية وقال

صلى الله عليه وسلم من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي
هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة
او سنة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال قال صلى الله عليه وسلم
عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد
الجنة بالسنة تمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك
بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل افترقوا
على اثنتين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحدة
قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس قال قال عليه
السلام من احيا سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف
المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحرث من احيا سنة من سنتي قد اميتت
بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع
بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص
ذلك من اوزار الناس شيئا فصل واما ما ورد عن السلف والائمة من اتباع سنته
والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن ابن ابي تليد
الفقيه سماعا عليه نا ابو عمر الحافظ نا سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبغ ووهب
بن مسرة قالا نا محمد بن وضاح نا يحيى بن يحيى نا مالك عن ابن شهاب
عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد
صلوة الخوف وصلوة الحضر في القران ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي
ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز

العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها
تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها
ولا تبديلها ولا النظر في راي من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر
بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه
جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير
في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة
وكتب عمر بن الخطاب تعلموا السنة والفرائض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم
يعني بالقران فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى
بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع
وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن ادع
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه الا اني لست بنبي
ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت
وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال
ابن عمر صلوة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل
والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه
من خشيته فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله
في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها
فهي كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه
خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد
في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على
منهاج الانبياء وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده

صلى الله عليه وسلم من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي
هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة
او سنة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال قال صلى الله عليه وسلم
عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد
الجنة بالسنة تمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك
بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل افترقوا
على اثنين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلث وسبعين كلها في النار الا واحدة
قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس قال قال عليه
السلام من احيا سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف
المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحرث من احيا سنة من سنتي قد اميتت
بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع
بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص
ذلك من اوزار الناس شيئا فصل واتماما ورد عن السلف والائمة من اتباع سنته
والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن ابن ابي تليد
الفقيه سماعا عليه نا ابو عمر الحافظ نا سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبغ ووهب
بن مسرة قالا نا محمد بن وضاح نا يحيى بن يحيى مالك عن ابن شهاب
عن رجل من ال خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد
صلوة الخوف وصلوة الحضر في القران ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي
ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز

110

سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها
تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها
ولا تبديلها ولا النظر في راي من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر
بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه
جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير
في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة
وكتب عمر بن الخطاب تعلموا السنة والفرايض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم
يعني بالقران فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى
بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع
وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن ادع
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه الا اني لست بنبي
ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت
وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال
ابن عمر صلوة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل
والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه
من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله
في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها
فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه
خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد
في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على
منهاج الانبياء وسننهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده

وكثرة لصوصه هل ياخذهم بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب
اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطا
في قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الى كتاب الله وسنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها
وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورؤي عبد الله بن عمر يدير ناقته
في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته
قال ابو عثمان الحيري من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى
على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلثة الاقتدا بالنبي صلى الله
عليه وسلم في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال
وجا في تفسير قوله والعمل الصالح يرفعه انه الاقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وحكي ان احمد بن حنبل قال كنت مع جماعة تجردوا ودخلوا الما فاستعملت الحديث من كان يؤمن
بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قائلا لي
يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك
قلت من انت قال جبريل **فصل** ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد
من الله عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المومنين نوله ما تولى الاية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد
الرحمن بن عتاب بقراتي عليهما قالا ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
القابسي ثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ ثنا احمد بن ابي سليمان ثنا سحنون بن سعيد
ثنا ابن القاسم ثنا مالك عن العلا بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه فليذادن
رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا
بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب
عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع
عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر
من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث
المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال صلى الله
عليه وسلم وجي بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جا به نبيهم
الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم
الاية وقال عليه السلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت
شيئا من امره ان ازيغ

الباب الثاني في لزوم محبته

قال الله تعالى قل ان كان اباوكم وابناوكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية فكفى بهذا حضا ودلالة
وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه
وسلم اذ قرع تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله
فتربصوا حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله
حدثنا ابو علي الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد ثنا سراج بن عبد الله
القاضي ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل
ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين
وعن ابي هريرة نحوه وعن انس عنه عليه السلام ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان

ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره
ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه
فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول
صلى الله عليه وسلم عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه عليه السلام لا يذوق
حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب
اليه من نفسه الحديث فصل في ثواب محبته حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي
عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن خلف ثنا ابو زيد المروزي
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان ثنا ابي ثنا شعبة
عن عمرو بن مرة عن سالم ابن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير
صلوة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت
وعن صفوان بن قدامة قال هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته
فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله
اني احبك قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه
وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس وعن ابي ذر بمعناه وعن
علي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين فقال من احبني
واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروي
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي

اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت
موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان
دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه وفي حديث اخر كان رجل عند
النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك قال بابي وامي اتمتع من النظر
اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وفي حديث
انس من احبني كان معي في الجنة فصل فيما روي عن السلف والايمة من محبتهم
للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد ثنا العذري ثنا الرازي
ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي
يود احدهم لو راني باهله وماله ومثله عن ابي ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبي
صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن
عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة
بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد ياوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم
ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي
اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي
بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك
ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قاله للعباس ان تسلم
احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعن ابي اسحق ان امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو
بحمد الله كما تحبين قالت ارنيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل
علي بن ابي طالب كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا
من اموالنا واولادنا واباءنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ وعن زيد بن اسلم
قال خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد
صلاة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكا بالاسحار يا ليت
شعري والمنايا اطوار هل تجمعني وحبيبي الدار تعني النبي صلى الله عليه وسلم
فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر
احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادت امرأته
واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه ويروى ان امرأة قالت لعائشة
اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل
مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له سفيان بن حرب انشدك بالله
يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في اهلك
فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة
واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رأيت من الناس احدا يحب احدا كحب
اصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس قال كانت المرأة اذا اتت
النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة
بارض عن ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير
بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله
فصل في علامة محبته صلى الله عليه وسلم اعلم ان من احب شيئا آثره وآثر موافقته والا

والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم
من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله
وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتأدب بادابه في عسره ويسره ومنشطه
ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين
تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة
مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد في رضى الله
حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا
ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا مسلم بن حاتم ثنا
محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس
بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس
في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي فقد
احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة
لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها
ودليله قوله صلى الله عليه وسلم للذي حده في الخمر ولعنه بعضهم وقال ما اكثر
ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات
محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة
شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم
المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه وتقدم قول
بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة
ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال اسحق

التجيبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت
جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا إليه
ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو
بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار وعداوة من عاداهم وبغض من
أبغضهم وسبهم فمن أحب شيئا أحب من يحب وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحسن
والحسين اللهم إني أحبهما فأحبهما وفي رواية في الحسن فأحب من يحبه وقال من أحبهما
فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض
الله وقال الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم
فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله
يوشك أن يأخذه وقال في فاطمة إنها بضعة مني يغضبني ما أغضبها وقال
لعائشة في أسامة بن زيد أحبيه فإني أحبه وقال آية الإيمان حب الأنصار وآية
النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي
أبغضهم فبالحقيقة من أحب شيئا أحب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى
في المباحات وشهوات النفس وقد قال أنس حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم
يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت أحب الدباء يومئذ وهذا الحسن بن علي
وعبد الله بن عباس وابن جعفر أتوا سلمى وسألوها أن تصنع لهم طعاما مما كان
يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ
بالصفرة إذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من
أبغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه
واستثقاله كل أمر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء أصحابه عليه السلام قد قتلوا أحباءهم

أحباءهم وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله ابن أبي
لو شئت لأتيتك برأسه ومنها أن يحب القرآن الذي أتى به عليه السلام وهدى
به وتخلق به حتى قالت عائشة كان خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته والعمل به
وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله
حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب
النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب الله وحب القرآن وحب النبي وحب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا

وعلامة حب السنة حب

وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر منها إلا زادا وبلغة إلى الآخرة وقال ابن مسعود
لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله
ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على أمته ونصحه لهم وسعيه
في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفا رحيما
ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وإيثاره الفقر واتصافه به وقد قال
صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد الخدري إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل
من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي
صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني أحبك فقال انظر ما تقول قال والله إني
أحبك ثلاث مرات قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث أبي سعيد
بمعناه فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس
في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك
وليست ترجع بالحقيقة إلى اختلاف مقال ولكنها اختلاف أحوال فقال سفيان المحبة
اتباع الرسول عليه السلام كأنه التفت إلى قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
الآية وقال بعضهم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم اعتقاد نصرته والذب
عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب

وقال آخر إيثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب وقال بعضهم المحبة
مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب
إلى موافق له وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة
المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته له إما لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور
الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم
مائل إليها لموافقتها له أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة
شريفة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والأفعال
الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة
في آخرين ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واخترام النفوس أو يكون حبه
إياه لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها
فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه الأسباب كلها في حقه عليه السلام فعلمت أنه عليه السلام
جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة أما جمال الصورة والظاهر وكمال الأخلاق
والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج إلى زيادة وأما إحسانه وإنعامه
على أمته فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته
إياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ورحمة
للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه ويتلو عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم فأي إحسان أجل قدرا
وأعظم خطرا من إحسانه إلى جميع المؤمنين وأي إفضال أعم منفعة وأكثر فائدة من إنعامه
على كافة المسلمين إذ كان ذريعتهم إلى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم إلى الفلاح
والكرامة ووسيلتهم إلى شفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم
البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك أنه صلى الله عليه وسلم مستوجب

مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا
لإفاضته الإحسان وعمومه الإجمال فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه
مرة أو مرتين معروفا أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع
فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالحب وإذا كان
يحب بالطبع ملك لحسن سيرته أو حاكم لما يؤثر من قوام طريقته أو قاص بعيد
الدار لما يشاد من علمه أو كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب
الكمال أحق بالحب وأولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته
عليه السلام من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه وذكرنا عن بعض
الصحابة أنه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه

فصل في وجوب مناصحته

عليه السلام قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا
نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال أهل التفسير
إذا نصحوا لله ورسوله إذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا
الفقيه أبو الوليد بقراءتي عليه ثنا حسين بن محمد ثنا يوسف بن عبد الله ثنا
ابن عبد المؤمن ثنا أبو بكر التمار ثنا أبو داود ثنا أحمد بن يونس ثنا زهير ثنا
سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة قالوا لمن
يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم قال أئمتنا
رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الإمام
أبو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن
أن يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الإخلاص من قولهم نصحت
العسل إذا خلصته من شمعه وقال أبو بكر بن أبي إسحاق الخفاف النصح فعل الشيء الذي

به الصدوع والملائمة مأخوذ من نصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب
وقال أبو إسحاق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية
ووصفه بما هو أهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه
والإخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الإيمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع
عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين
والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه قاله أبو سليمان
وقال أبو بكر ومؤازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا وإحياء سنته بالطلب والذب
عنها ونشرها والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال أبو إبراهيم إسحاق التجيبي
نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض
عليها والدعوة إلى الله وإلى كتابه وإلى رسوله وإليها وإلى العمل بها وقال أحمد بن محمد
من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر الآجري
وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح أصحابه له بالنصر
والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والأموال
دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وقال وينصرون الله ورسوله
الآية وأما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والإجلال وشدة المحبة له والمثابرة
على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته وأصحابه ومجانبة من رغب
عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على أمته والبحث عن تعرف أخلاقه
وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة إحدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها
كما قدمناه وحكى الإمام أبو القاسم القشيري أن عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف
بالصفار رئي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا فقال صعدت ذروة جبل يوما فأشرفت على جنودي
فأعجبتني كثرتهم فتمنيت أني حضرت رسول الله عليه السلام فأعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي وأما النصح لأئمة المسلمين

المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم إياه على أحسن
وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور المسلمين وترك الخروج
عليهم وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين إرشادهم
إلى مصالحهم ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم
وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع
إليهم

الباب الثالث في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره

قال الله تعالى يا أيها
النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه
وتوقروه وقال يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا أيها
الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الآيات وقال
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فأوجب تعالى تعزيره وتوقيره
وألزم إكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه
تبالغوا في تعظيمه وقال الأخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه
وقرئ تعززوه بزاءين من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب
بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله
لا تقولوا قبل أن يقول وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا ونهوا عن التقدم والتعجيل
بقضاء أمر قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال أو غيره من أمر دينهم
إلا بأمره ولا يسبقوه به وإلى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي
والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله إن الله سميع عليم
قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع
حرمته إنه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له
بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال

أبو محمد مكي أي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء
بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى به يا رسول
الله يا نبي الله وهذا كقوله في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا على أحد التأويلين قال غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين
ثم خوفهم الله تعالى بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك وحذرهم منه وقيل
نزلت الآية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه
يا محمد يا محمد اخرج إلينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون
وقيل نزلت الآية الأولى في محاورة كانت بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس
بن شماس خطيب النبي صلعم في مفاخرة بني تميم وكان في أذنيه صمم فكان يرفع
صوته فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله وخشي أن يكون حبط عمله ثم أتى النبي
صلعم فقال يا نبي الله لقد خشيت أن أكون هلكت نهانا الله أن نجهر بالقول وأنا امرؤ
جهير الصوت فقال النبي صلعم يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل
الجنة فقتل يوم اليمامة وروي أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله
لا أكلمك بعدها إلا كأخي السرار وأن عمر كان إذا حدثه حدثه كأخي السرار
ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى
يستفهمه فأنزل الله تعالى فيهم إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول
الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم وقيل
نزلت إن الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروى
صفوان بن عسال قال بينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر إذ ناداه
أعرابي بصوت له جهوري أيا محمد أيا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فإنك

فإنك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا
قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الأنصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه
وسلم وتبجيلا له لأن معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها إذ مقتضاها كأنهم لا
يرعونه إلا برعايته لهم بل حقه أن يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها
للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا
للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة في
تعظيمه عليه السلام وتوقيره وإجلاله حدثنا القاضي أبو علي الصدفي وأبو بحر
الأسدي سماعا عليهما في آخرين قالوا ثنا أحمد بن عمر ثنا أحمد بن الحسن ثنا محمد بن عيسى
ثنا إبراهيم بن سفيان ثنا مسلم ثنا محمد بن مثنى وأبو معن الرقاشي وإسحاق بن منصور قالوا
ثنا ضحاك بن مخلد ثنا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة
المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان أحد
أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ
عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه
وروى الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه
من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه بصره
إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما
وروى أسامة بن شريك قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما
على رؤوسهم الطير وفي حديث صفته إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم
الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى تعظيم أصحابه له ما رأى وأنه لا يتوضأ
إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة

نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه
شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده
وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت
كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رايت ملكا في
قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رايت قط ملكا يعظمه اصحابه ما يعظم
محمدا اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة
الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه
النبي صلعم اليهم في القضية ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فساله
فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى
نحبه وفي حديث قيلة فلما رايت رسول الله صلعم جالسا القرفصاء ارعدت من
الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي يقرعون
بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسال رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الامر فاوخر سنين من هيبته فصل واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره صلعم
وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم
اهل بيته وصحابته قال ابو ابرهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده
ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما
كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به قال القاضي ابو

الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما
اجازونيه قالوا انا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث ثنا ابو الحسن علي بن فهر ثنا
ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج ثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب ثنا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل
ثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى ادب قوما فقال
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الاية وذم
قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان
لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام
الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم الاية وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب
افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلعم
بكى حتى ارحمه فلما رايت منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال
مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني
حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم علي
ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث
ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا
ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلث خصال
اما مصليا واما صامتا واما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد

عبد الرحمن بن القاسم

الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم فننظر الى لونه
كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد
كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى
لا يبقى في عينيه دموع ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم فاذا ذكر
عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان
بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا
يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة أنه كان اذا سمع الحديث
أخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال
قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا
وميتا سواء وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم
أمرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول أنه يجب
من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته

حدثنا الحسين بن محمد
الحافظ ثنا أبو الفضل بن خيرون ثنا أبو بكر البرقاني وغيره ثنا أبو الحسن
الدارقطني ثنا علي بن مبشر ثنا أحمد بن سنان القطان ثنا يزيد بن هارون ثنا
المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته
يقول قال رسول الله الا أنه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا
ان شاء الله تعالى أو فوق ذا أو ما دون ذا أو ما قرب من ذا وفي رواية
فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت أوداجه وقال ابراهيم
عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن أنس على أبي حازم وهو

وهو يحدث فجازه وقال اني لم أجد موضعا أجلس فيه فكرهت أن آخذ حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب
فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت أنك لم تتعن
فقال اني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع وروي عن
محمد بن سيرين أنه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال
أبو مصعب كان مالك بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو
على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله
كان مالك بن أنس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس
ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال مطرف كان اذا أتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول
لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث
دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه
رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود
حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك
المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن أبي أويس فقيل
لمالك في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به الا
على طهارة متمكنا قال وكان يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل وقال
أحب أن أفهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك كنت
عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا
يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس
قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا فقال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسألته
عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسأل عن حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث
وهو قائم فامر بحبسه فقيل له انه قاض قال القاضي احق من ادب وذكرت
هشام بن الغازي سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا
ثم اشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا
ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث
الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ احاديث النبي صلى الله
عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان
يحدث وهو على غير وضوء تيمم فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم
وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما حض عليه عليه السلام
وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت الاية وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ
ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله نا ابو الحسن المقرئ الفرغاني
حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي حدثنا حاتم هو ابن عقيل
نا يحيى هو ابن اسمعيل نا يحيى هو الحماني نا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق
عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انشدكم الله واهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر
وآل عقيل وآل العباس وقال صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان
اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما
وقال صلى الله عليه وسلم معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على

الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم
هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف
وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا
وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي
فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت آية
المباهلة دعا النبي صلعم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم
هؤلاء اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه
اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن
ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل
الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى عمي فقد آذاني وانما عم الرجل صنو ابيه
وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته
وقال هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار
كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين
وكان يأخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما
وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي
نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل
من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا وقال من احبني
واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معي في
درجتي يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه
الله وقال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها وقال

وقال عليه السلام لام سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن
الحارث قال رأيت ابا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول
بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروي عن عبد الله بن
حسن بن حسن قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك
حاجة فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله ان يراك على بابي وعن الشعبي
قال صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن
عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا
ان نفعل باهل بيت نبينا وراى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا
عندي فقيل له هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن عمر راسه ونقر بيده الارض
وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي
دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها
مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يدها بين
يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها
وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في
ثلثة الاف ولاسامة بن زيد في ثلثة آلاف وخمسمائة قال عبد الله لابيه
لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا كان
احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك
فآثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية
ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه
من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب

لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان مالكا رح
لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه
الناس فلما افاق فقال اني اشهدكم اني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد
ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه
ان يدخل بعض آله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له
اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر
وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولان اخر من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس
ماتت فلانة لبعض ازواج النبي عليه السلام فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة
فقال اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم آية فاسجدوا واي
آية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر
يزوران ام ايمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولان كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على
النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي وفدت
على ابي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك **فصل** ومن توقيره وبره عليه السلام
توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم
والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن
اخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة
في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن
التأويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم

بسوء ولا يغمض عليه امر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم
ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه السلام اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى
محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة وقال
والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الاية وقال لقد رضي الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية
حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الحسين وابو الفضل قالا ثنا ابو يعلى ثنا ابو علي السنجي
ثنا محمد بن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسن بن الصباح ثنا سفين بن عيينة عن
زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد
اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال لا تسبوا اصحابي
فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب
اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا
عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي على
جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان
وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن
ابغض عمر فقد ابغضني قال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس
له في فيء المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الاية وقال من غاظه
اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك

خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وقال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد
اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد
اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد
برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف
الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه
سليما وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس
اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي
وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم
ذلك ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني
في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة
لا توهب في القيامة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز
من معوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد
معوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي صلى الله عليه
وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله تعالى
وقال صلعم في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني
في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة
ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه
عليه السلام من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني
في اصحابي ورد على الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض
ولم يرني الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب

الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل
إلى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك أمره الله وأمر النبي
بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب الأحبار أحد من أصحاب محمد
صلعم إلا له شفاعة يوم القيامة وطلب من المغيرة بن نوفل أن يشفع له يوم القيامة
قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول صلعم من لم يوقر أصحابه
ولم يعز أوامره فصل ومن إعظامه وإكباره إعظام جميع أسبابه وإكرام مشاهده
وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه السلام أو عرف به وروي
عن صفية بنت نجدة قالت كان لأبي محذورة قصة في مقدم رأسه إذا قعد
وأرسلها أصابت الأرض فقيل له ألا تحلقها فقال لم أكن بالذي أحلقها وقد مسها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره
صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة أنكر عليه
أصحاب النبي صلعم كثرة من قتل فيها فقال لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته
من شعره صلى الله عليه وسلم لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين ولهذا
كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول أستحيي من الله أن أطأ تربة
فيها رسول الله صلعم بحافر دابة وروي أنه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال
له الشافعي أمسك منها دابة فأجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي عن أحمد
بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة أنه قال ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة
منذ بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده وقد أفتى مالك فيمن قال تربة المدينة
ردية يضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه
تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة وفي الصحيح أنه قال صلى الله
عليه وسلم في المدينة من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة و

والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكي أن جهجاها الغفاري
أخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره
على ركبته فصاح به الناس فأخذته الأكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول
وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار
وحدثت أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى
باكيا منشدا ۝ ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ۝ فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ۝ لمن بان عنه أن نلم به ركبا وحكي عن بعض المريدين
أنه لما أشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول متمثلا ۝ رفع الحجاب
لنا فلاح لناظر ۝ قمر تقطع دونه الأوهام ۝ وإذا المطي بنا بلغن محمدا
فظهورهن على الرجال حرام ۝ قربننا من خير من وطئ الثرى ۝ فلها علينا حرمة
وذمام وحكي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق
يأتي إلى بيت مولاه راكبا لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي قال
القاضي وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل
وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها
على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله صلعم ما انتشر مدارس
آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات
ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين
حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة وأول أرض مس
جلد المصطفى ترابها أن تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها
۝ يا دار خير المرسلين ومن به ۝ هدي الأنام وخص بالآيات ۝ عندي لأجلك لوعة وصبابة
وتشوق متوقد الجمرات ۝ وعلي عهد إن ملأت محاجري ۝ من تلكم الجدرات والعرصات

لأعفرن مصون شيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات لولا العوادي والأعادي
زرتها أبدا ولو سحبا على الوجنات لكن سأهدي من جزيل تحيتي لقطين
تلك الدار والحجرات أذكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية قال ابن عباس معناه إن الله وملائكته يباركون على النبي وقيل إن الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد وأصل الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله عز وجل وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء قال القاضي أبو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل أنهما بمعنيين وأما التسليم الذي أمر الله تعالى به عباده فقال القاضي أبو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر الله أصحابه أن يسلموا عليه وكذلك من بعدهم أمروا أن يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه أحدها السلامة لك ومعك ويكون السلام مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني أي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله الثالث أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل اعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الإجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله قال القاضي أبو الحسن بن القصار المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة على الإنسان وفرض عليه أن يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي أبو بكر بن بكير افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي أبو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الإيمان لا تتعين في الصلاة وأن من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال أصحاب الشافعي الفرض منها الذي أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم هو في الصلاة وقالوا وأما في غيرها فلا خلاف أنها غير واجبة وأما في الصلاة فحكى الإمامان أبو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما إجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الأخير وقبل السلام فصلاته فاسدة وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في إنكار هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال أبو بكر بن المنذر يستحب ألا يصلي أحد صلاة

إلا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ترك ذلك تارك فصلاته
مجزئة في مذهب مالك وأهل المدينة وسفين الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي
وغيرهم وهو قول جمل أهل العلم وحكي عن مالك وسفين أنها في التشهد الأخير مستحبة
وأن تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فأوجب على تاركها في الصلوة الإعادة مع
تعمد تركها دون النسيان وحكى أبو محمد ابن أبي زيد عن محمد بن المواز أن الصلوة على
النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال أبو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة وقاله
محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب أن محمد بن المواز يراها
فريضة في الصلوة كقول الشافعي وقد خالف الخطابي من أصحاب الشافعي وغير الشافعي
في هذه المسئلة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي
ولا أعلم له فيها قدوة والدليل على أنها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي
وإجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا تشهد ابن مسعود
الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم
كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري
وعبد الله ابن الزبير لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال
ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن
ونحوه عن أبي سعيد وقال ابن عمر كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان
في الكتاب وعلمه أيضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلوة لمن لم يصل
علي وقال ابن القصار معناه كاملة أو لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف
أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث أبي جعفر عن ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصو

الصواب أنه قول أبي جعفر محمد ابن علي بن الحسين لو صليت صلوة لم أصل فيها على النبي صلى الله
عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم **فصل** في المواطن التي يستحب فيها
الصلوة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد
الصلوة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي أبو علي رحمه الله
بقراءتي عليه ثنا الإمام أبو القاسم البلخي ثنا الفارسي عن أبي القاسم الخزاعي عن الهيثم
عن أبي عيسى الحافظ ثنا محمود بن غيلان ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ
ثنا حيوة بن شريح حدثني أبو هانئ الخولاني أن عمرو بن مالك الجنبي
أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو
في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل
هذا ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدعو بعد بما شاء ويروى من غير هذا السند
بتحميد الله وهو أصح وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلوة معلق بين السماء
والأرض ولا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد وروي أن الدعاء محجوب
حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود إذا أراد
أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي
على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم ليسأل فإنه أجدر أن ينجح وعن جابر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فإن الراكب يملأ
قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فإن احتاج إلى شراب شربه أو الوضوء توضأ وإلا
هراقه ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره وقال ابن عطاء للدعاء أركان
وأجنحة وأسباب وأوقات فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار في السماء

وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب ورقته والاستكانة
والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار
واسبابه الصلوة على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعا بين الصلوتين على
لا يرد وفي حديث اخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جات الصلاة علي صعد الدعاء
وفي دعا ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في اخره واستجب دعائي ثم يبدا بالصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت
على احد من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلوة عليه عند ذكره وسماع اسمه
او كتابه او عند الاذان وقد قال صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده
فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره
سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب
الثواب قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس
فلا يقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله
على محمد لم يكن تسمية له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان يجعل الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي
صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام
دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك عليه وعلى اله ويسلم تسليما
ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل
موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم
تحية قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال

ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في
المسجد احد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج
ولم يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله
عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث اخر
القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلوة عليه ايضا الصلاة على الجنائز وذكر
عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلوة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن
هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض
ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم
تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله
عليه وسلم تشهد الصلاة حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ الخطيب رحمه الله
وغيره قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت نا ابو الهيثم نا محمد بن يوسف نا محمد
بن اسمعيل نا ابو نعيم نا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم
اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته
اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من
تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يتكلم بمثل ذلك قبل السلام

قال محمد بن مسلمة أراد ما جاء عن عائشة وابن عمر أنهما كانا يقولان عند سلامهما
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم واستحب أهل العلم أن ينوي الإنسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء
والأرض من الملائكة وبني آدم والجن قال مالك في المجموعة وأحب
للمأموم إذا سلم إمامه أن يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم

فصل في كيفية الصلاة عليه والتسليم

حدثنا أبو إسحق إبراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه ثنا القاضي أبو الأصبغ
ثنا أبو عبد الله بن عتاب ثنا أبو بكر بن وافد وغيره ثنا أبو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى ثنا مالك
عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي أنه قال أخبرني أبو حميد
الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه
وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل
إبراهيم إنك حميد مجيد وفي رواية مالك عن أبي مسعود الأنصاري قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل إبراهيم في
العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد
وآل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد
مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد . وفي
رواية أبي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا
القاضي أبو عبد الله التميمي سماعا عليه وأبو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا
ثنا أبو عبد الله بن سعدون الفقيه ثنا أبو بكر المطوعي ثنا أبو عبد الله الحاكم عن أبي بكر بن
أبي دارم الحافظ عن علي بن أحمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن
خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب
أبيه علي

قال

قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي
جبريل وقال هكذا نزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما
باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم
وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك
حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وعن
أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل
البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما
صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الأنصاري سألت النبي
صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد وعن سلامة الكندي قال كان علي
يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل
شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق
والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الأباطيل كما حمل فاضطلع بأمرك
بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى
قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم وأبهج
موضحات الأعلام ونائرات الأحكام ومنيرات الإسلام فهو أمينك المأمون وخازن علمك
المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه
مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول
اللهم أعل على بناء الناس بناءه وأكرم مثواه لديك ونزله وأتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له
مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه أيضا في

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية لبيك
اللهم وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم
النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي
إليك بإذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام
الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون اللهم صل على
محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من أراد أن يشرب بالكأس
الأوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته
وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين
وعن طاوس عن ابن عباس أنه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته
العليا وآته سؤله في الآخرة والأولى كما آتيت إبراهيم وموسى وعن وهيب بن الورد أنه
كان يقول في دعائه اللهم أعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه وأعط محمدا أفضل ما سألك له
أحد من خلقك وأعط محمدا أفضل ما أنت مسؤول له إلى يوم القيامة وعن ابن مسعود
أنه كان يقول إذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون
لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم
ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد
مجيد ۞ وما يؤثر في تطويل الصلاة وتكثير الثناء عن أهل البيت وغيرهم كثير وقوله

وعلى آل محمد

والسلام

والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك أيها النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ۞ وفي تشهد علي السلام على نبي الله
السلام على أنبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام على أنبياء الله السلام على محمد
بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر
لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لأهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا الحديث بلغ
عن علي الدعا للنبي بالغفران فصل في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم والتسليم عليه والدعا له حدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه
القاضي يونس بن مغيث ثنا أبو بكر بن معوية ثنا النسائي نا سويد بن نصر نا عبد الله عن حيوة
بن شريح أخبرني كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع أنه سمع عبد الله بن عمر
يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
وصلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة
لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وروى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه
عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له
عشر حسنات وعن أنس عنه عليه السلام أن جبرائيل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى
الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام
لقيت جبريل فقال إني أبشرك أن الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت
عليه ونحوه من رواية أبي هريرة ومالك بن أوس بن الحدثان
وعبيد الله بن أبي طلحة وعن زيد بن الحباب قال سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وأنزله المنزل المقرب
عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود أولى الناس بي

لك

يوم القيمة اكثرهم علي صلاة وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال من صلى
علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن
ربيعة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة
ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة
تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك
فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير
قال الثلث قال ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت
فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتي
كلها لك قال اذا تكفى ويغفر ذنبك • وعن ابي طلحة قال دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل
انفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي
عليك الا صلى الله وملائكته بها عشرا وعن جابر ابن عبد الله قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ات
محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة
وعن سعد ابن ابي وقاص قال من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام
دينا غفر له وروي ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما
اعتق رقبة • وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي
وفي اخر ان انجاكم يوم القيامة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه

افضل

افضل من عتق الرقاب فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين
ابو علي الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا احمد بن ابراهيم الدورقي
ثنا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن ابن اسحق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل
دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك ابواه عنده الكبر
فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث اخر ان النبي
صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال امين ثم صعد فقال امين ثم صعد فقال امين فسأله
معاذ عن ذلك فقال ان جبريل صلى الله عليه وسلم اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه
فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل امين فقلت امين وقال فيمن ادرك رمضان
فلم يتقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات
مثله وعن علي ابن ابي طالب عنه عليه السلام انه قال البخيل كل البخيل من ذكرت عنده
فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به طريق الجنة وعن علي ابن ابي طالب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي
هريرة قال قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان
يذكروا اسم الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم
وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه
عليه السلام من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه عليه السلام
قال ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا
عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم

مجلساً لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة وإن
دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى أبو عيسى الترمذي عن بعض أهل العلم قال
إذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك
المجلس فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة من صلى عليه أو سلم من
الأنام حدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي ثنا الحسين بن محمد ثنا أبو عمر الحافظ ثنا ابن حميد بن
عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا أبو داود ثنا ابن عوف ثنا المقرئ ثنا حيوة عن أبي صخر
زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما
من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام ● وذكر أبو بكر بن أبي
شيبة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري
سمعته ومن صلى علي نائياً بلغته وعن أبي مسعود إن لله ملائكة سياحين في الأرض
يبلغوني عن أمتي السلام ونحوه وعن أبي هريرة وعن ابن عمر أكثروا من السلام على
نبيكم كل جمعة فإنه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فإن أحداً لا يصلي علي إلا
عرضت صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه السلام حيثما كنتم فصلوا
علي فإن صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم
عليه ويصلي عليه إلا بلغه وذكر بعضهم أن العبد إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم
عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي إذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فإن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً وصلوا
علي حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث أوس أكثروا علي من الصلاة
يوم الجمعة ● فإن صلاتكم معروضة علي وعن سليمان بن سحيم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد
عليهم وعن ابن شهاب بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكثروا من الصلاة

علي

علي في الليلة الزهراء واليوم الأزهر فإنهما يؤديان عنكم وإن الأرض لا تأكل أجساد
الأنبياء وما من مسلم يصلي علي إلا حملها ملك حتى يؤديها إلي ويسميه حتى إنه ليقول إن
فلاناً يقول كذا وكذا فصل في الاختلاف في الصلاة على غير النبي صلى الله
عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام قال القاضي رحمه الله
عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه قال
لا تنبغي الصلاة على أحد إلا على النبيين وقال سفيان يكره أن يصلى إلا على
نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك أنه لا يجوز أن يصلى على أحد من الأنبياء
سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة
ليحيى بن إسحاق أكره الصلاة على غير الأنبياء وما ينبغي لنا أن نتعدى ما أمرنا به قال
يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث
ابن عمر وبما في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وفيه وعلى أزواجه
وعلى آله قالوا والآثار عن ابن عباس لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم
والدعاء وذلك على الإطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح وإجماع وقد قال تعالى
هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية وقال خذ من أموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية وقال أولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى
وكان صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل
فلان وفي حديث الصلاة اللهم اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته وفي
آخر وعلى آل محمد قيل أتباعه وقيل أمته وقيل الأتباع والرهط والعشيرة وقيل
آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية
أنس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي ● ويجيء على مذهب الحسن

أن المراد بآل محمد محمد نفسه فإنه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل أحمد يريد نفسه لأنه كان لا يخل
بالفرض ويأتي بالنفل لأن الفرض الذي أمر الله به هو الصلاة على محمد نفسه ۝ وهذا
مثل قوله صلى الله عليه وسلم لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من
مزامير داود وفي حديث أبي حميد الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد
وأزواجه وذريته وفي حديث ابن عمر أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى أبي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الأندلسي وروى ابن وهب
عن أنس بن مالك كنا ندعو لأصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان
صلوات قوم أبرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال القاضي والذي
ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله وروي عن
ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه لا يصلى على غير الأنبياء عند ذكرهم
بل هو شيء يختص به الأنبياء توقيرا لهم وتعزيرا كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه
والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم
وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما أمر الله بقوله صلوا عليه
وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران والرضا كما قال تعالى
يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وقال والذين اتبعوهم
بإحسان رضي الله عنهم وأيضا فهو أمر لم يكن معروفا في الصدر الأول كما قال أبو
عمران وإنما أحدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الأئمة فشاركوهم عند الذكر لهم ۝
بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ۝ وأيضا فإن التشبه ۝
بأهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلاة على الآل
والأزواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والإضافة إليه لا على

حكم التخصيص قالوا وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة
ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم
لبعض وهذا اختيار الإمام أبي المظفر الإسفرايني من شيوخنا

فصل

في حكم زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو ۝
وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب
فيها وروي عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن
أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا
كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة وفي حديث آخر من زارني بعد
موتي فكأنما زارني في حياتي ۝ وكره مالك أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه
وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهية الاسم لما ورد من قوله عليه السلام لعن الله
زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار قبري ۝
فقد أطلق اسم الزيارة وقيل لأن ذلك لما قيل إن الزائر أفضل من المزور وهذا أيضا
ليس بشيء إذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث أهل الجنة ۝
زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه والأولى عندي أن منعه وكراهة مالك
له لإضافته إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه
لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا
قبور أنبيائهم مساجد فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك قطعا للذريعة
وحسما للباب والله أعلم قال إسحق بن إبراهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج المرور
بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية
منبره وروضته وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند

اليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه ومن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين
والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول
بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله
وملائكته يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة
ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة ۞ وعن يزيد بن ابي سعيد
المهري قال قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة
سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقرأه مني السلام قال غيره وكان يبرد اليه
البريد من الشام قال بعضهم رأيت انس بن ملك اتى قبر النبي صلى الله عليه
وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
ودعا ثم انصرف قال ملك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف
ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط
لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن
ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي
في القبلة عند القبر على راسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رايته مائة مرة واكثر
يجي الى القبر فيقول السلام على النبي صلى الله عليه وسلم السلام على ابي بكر السلام
على ابي ثم ينصرف ۞ وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر
النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبي
ويدعو لابي بكر وعمر قال ملك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر رض
قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ
بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول

اذا دخل مسجد الرسول بسم الله وسلام على رسول الله السلام علينا من ربنا وصلى الله
وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين
القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسأله
تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزأتاك وفي
الروضة افضل وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من
رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا
فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر
من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تأتي
مسجد قبا وقبور الشهدا قال ملك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله
عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج
جعل اخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن
فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت
المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب فضلك وفي رواية اخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني
اسألك من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين
قال كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا
وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة ايضا قالت كان النبي صلى الله
عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر
مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي

صلى الله عليه وسلم وذكر مثله ، وفي رواية باسم الله والسلام على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن غيرها كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب
رزقك وعن ابي هريرة قال اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه
وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال ملك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد
وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغربا وقال فيه ايضا لا باس
لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه
ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر
ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام
المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا
عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها
ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن
جا من سفر او اراده ، قال ابن القاسم ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها او
دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رايي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة
والغربا لان الغربا قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل
القبر والتسليم وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب
الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن
كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده
طويلا وفي العتبية يبدا بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب
مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة
فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغربا احب الي من التنفل في البيوت

فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما
قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل
سكنى المدينة ومكة ، قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول
يوم احق ان تقوم فيه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال
مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر وملك بن انس وغيرهم وعن
ابن عباس انه مسجد قبا حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراتي عليه حدثنا الحسين بن
محمد الحافظ ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود ثنا
مسدد ثنا سفين عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد
تقدمت الاثار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ
بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال ملك رحمه الله
سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال
رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت
قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشي من الاذى وان
ينزه عما يكره قال القاضي حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم والعلما كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم
قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره
رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة عنه عليه السلام
صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي اختلف

الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب
ملك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابنا الى ان معنى الحديث
ان الصلاة في مسجد الرسول افضل من الصلاة في سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام
فان الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه بدون الالف واحتجوا
بما روي عن عمر بن الخطاب صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه فتاتي
فضيلة مسجد الرسول عليه بتسع مائة وعلى غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة
على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل
مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطا وابن وهب وابن حبيب من اصحاب ملك
وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلاة في
المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل
حديث ابي هريرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدي هذا
بمائة صلاة وروى قتادة مثله فياتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة
في سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضي
ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها
مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو في صلاة الفرض وذهب
مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير
من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه
وقال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي
هريرة وابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث اخر منبري على ترعة من ترع
الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه
روي ما يبينه بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن

اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري واذا كان
قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته
وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو اظهر
والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة
الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من
رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعا والصلاة فيه يستحق
ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني ان تلك البقعة قد ينقلها
الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لاوايها وشدتها احد الا كنت له شهيدا
او شفيعا يوم القيامة وقال فيمن يتحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا
يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها وقال لا يخرج احد
من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروي عنه صلى الله عليه وسلم وقال من مات
في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وفي
طريق اخر بعث من الامنين يوم القيامة وعن ابن عمر قال من استطاع ان يموت بالمدينة
فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة
الى قوله امنا قال بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان يامن الطلب من احدث
حدثا ولجا اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول
بعضهم وحكي ان قوما اتوا سعدونا الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا
عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال لعله حج ثلث حجج قالوا نعم
قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلث حجج حرم الله
شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من

ما أعظمك

بيت ما أعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام ما من أحد يدعو الله عند
الركن الأسود إلا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام
قال من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر
يوم القيامة من الآمنين قرأت على القاضي الحافظ أبي علي رحمه الله حدثك أبو العباس
العذري ثنا أبو أسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروي ثنا الحسن بن رشيق قال سمعت أبا الحسن
محمد بن الحسن بن راشد قال سمعت أبا بكر محمد بن إدريس قال سمعت الحميدي قال سمعت
سفين بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم إلا استجيب له قال ابن عباس
وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وأنا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لي وقال سفين وأنا فما دعوت الله
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو إلا استجيب لي قال الحميدي وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان إلا استجيب لي وقال محمد بن إدريس وأنا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي إلا استجيب لي وقال أبو الحسن محمد
بن الحسن وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن إدريس إلا
استجيب لي قال أبو أسامة وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وأنا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق إلا استجيب لي من أمر الدنيا
وأنا أرجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة قال العذري وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من أبي أسامة إلا استجيب لي قال أبو علي وأنا فقد دعوت الله
فيه بأشياء كثيرة استجيب لي بعضها وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها
وقال القاضي أبو الفضل ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وإن لم تكن

من

من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل أو يجوز عليه وما
يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية أن يضاف إليه قال الله تعالى وما محمد إلا رسول
قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل الآية وقال ما المسيح بن مريم إلا رسول قد
خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وقال وما أرسلنا
قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وقال قل إنما أنا
بشر مثلكم يوحى إلي الآية فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء من البشر أرسلوا
إلى البشر ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله
تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا أي لما كان إلا في صورة البشر الذين يمكنكم مخاطبتهم
إذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته وقال قل
لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أي لا
يمكن في سنة الله إرسال الملك إلا لمن هو من جنسه أو من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه
على مقاومته كالأنبياء والرسل فالأنبياء والرسل وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم
أوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من أمره وخلقه وجلاله وسلطانه
وجبروته وملكوته فظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم متصفة بأوصاف البشر طارئ عليها
ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية وأرواحهم
وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر متعلقة بالملأ الأعلى متشبهة بصفات الملائكة
سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية إذ لو كانت
بواطنهم خالصة البشرية كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم
ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت أجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت
الملائكة وبخلاف صفات البشر لما أطاق البشر ومن أرسلوا إليه مخالطتهم كما تقدم

من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الأجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الأرواح
والبواطن مع الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من أمتي خليلا
لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام
عيناي ولا ينام قلبي وقال إني لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني
فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن
تكتفي بمضمونها كل همة بل الأكثر يحتاج إلى بسط وتفصيل على ما نأتي به بعد هذا
في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الأول

فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الأنبياء صلوات الله
عليهم قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اعلم أن الطوارئ من التغيرات والآفات على
آحاد البشر لا تخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد واختيار كالأمراض
والأسقام أو تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم
المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع
البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها
والنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر
فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير
من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه إن شاء الله فيما نأتي به
من التفاصيل

فصل

في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته
اعلم منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته
والإيمان به وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل
بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين
هذا ما وقع إجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء

سواه ولا يعترض على هذا بقول إبراهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي إذ لم يشك
إبراهيم عليه السلام في إخبار الله تعالى له بإحياء الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب وترك
المنازعة لمشاهدة الإحياء فحصل له العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني
بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني أن إبراهيم عليه السلام إنما أراد اختبار
منزلته عند ربه وعلم إجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله
أولم تؤمن أي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث أنه
سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة وإن لم يكن في الأول شك إذ العلوم الضرورية
والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات
فأراد الانتقال من النظر أو الخبر إلى المشاهدة والترقي من علم اليقين إلى عين اليقين فليس
الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد
بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع أنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي
ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال
على طريق الأدب المراد أقدرني على إحياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الأمنية الوجه
السادس أنه أرى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه وقول نبينا صلى الله
عليه وسلم نحن أحق بالشك من إبراهيم نفي لأن يكون إبراهيم شك وإبعاد للخواطر الضعيفة
أن تظن هذا بإبراهيم أي نحن موقنون بالبعث وإحياء الله الموتى فلو شك إبراهيم لكنا
أولى بالشك منه إما على طريق الأدب أو أن يريد أمته الذين يجوز عليهم الشك أو على
طريق التواضع والإشفاق إن حملت قصة إبراهيم على اختبار حاله أو زيادة يقينه فإن قلت
فما معنى قوله فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك الآيتين
فاحذر ثبت الله قلبك أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من إثبات
شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه وأنه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه

جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير
والحسن وحكى قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسأل وعامة المفسرين
على هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في
شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل قوله قل يا ايها الناس
ان كنتم في شك من ديني الآية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم
كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في
مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن
من الذين كذبوا بآيات الله وهو عليه السلام كان يكذب فيما يدعوا اليه فكيف يكون
ممن كذب به وهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الآية قوله الرحمن
فاسأل به خبيرا المأمور هاهنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي صلى الله عليه
وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسئول لا المستخبر السائل وقال ان
هذا الشك الذي امر غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما
هو فيما قصه من اخبار الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة وهذا مثل قوله
واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة
للنبي صلى الله عليه وسلم قاله القتيبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك
فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ اجعلنا من دون الرحمن الى آخر الآية على
طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم
ان يسأل الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال
فروي انه قال لا اسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا هل
جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة
والمراد بهذا والذي قبله اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم يأذن في عبادة

غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله
زلفى وكذلك قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يقروا
بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول الآية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم
اي قل لمن امترى يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الآية افغير
الله ابتغي حكما الآية وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير
كقوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم انه لم يقل وقيل
معناه ما كنت في شك فسل تزدد طمأنينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت
تشك فيما شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك
وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله
حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك
ما قالته عائشة معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما
استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين
وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن
عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل
بالك من شاذ التفسير سواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء وكذلك ما ورد
في حديث السيرة ومبتدأ الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك
فيما آتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي ألا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي
فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد لقائه الملك او يكون ذلك قبل لقيا
الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر
وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان

الا في المنام ثم أرى في اليقظة مثل ذلك تأنيساً له عليه السلام لئلا يفجأه الأمر مشاهدة
ومشافهة فلا يحتمله لا يحتمل بنية البشر وفي الصحيح عن عائشة أول ما بدئ به
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب إليه
الخلاء وقالت إلى أن جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس قال
مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء
سبع سنين لا يرى شيئاً وثمان سنين يوحى إليه وقد روى ابن إسحق عن بعضهم
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وأنا
نائم فقال اقرأ فقلت ما أقرأ وذكر نحو حديث عائشة في غطه له وإقرائه اقرأ باسم
ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي كأنما صورت في قلبي ولم يكن أبغض
إلي من شاعر أو مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا أبداً لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن
نفسي منه فلأقتلنها فبينا أنا عامد لذلك إذ سمعت منادياً ينادي من السماء يا محمد أنت
رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي فإذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في
هذا أن قوله لما قال وقصده لما قصد إنما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام وقبل إعلام الله
له بالنبوة وإظهاره اصطفاءه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل أنه عليه السلام قال
لخديجة إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله أن يكون هذا لأمر
ومن رواية حماد بن سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة إني لأسمع صوتاً وأرى
ضوءاً وأخشى أن يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في بعض هذه الأحاديث
إن الأبعد شاعر أو مجنون وألفاظاً يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما رآه وأنه كان
كله في ابتداء أمره وقبل لقاء الملك له وإعلام الله له أنه رسوله فكيف وبعض هذه
الألفاظ لا يصح طرقها وأما بعد إعلام الله تعالى له ولقاء الملك فلا يصح فيه ريب
ولا يجوز عليه شك فيما ألقي إليه وقد روى ابن إسحق عن شيوخه أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل أن ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن أصابه نحو ما كان
يصيبه فقالت له خديجة أوجه إليك من يرقيك قال أما الآن فلا وحديث خديجة
واختبارها أمر جبريل بكشف رأسها الحديث إنما ذلك في حق خديجة لتتحقق صحة
نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الذي يأتيه ملك ويزول الشك عنها
لا أنها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو بها له بذلك بل قد ورد
في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن أبيه عن عائشة أن ورقة أمر
خديجة أن تختبر الأمر بذلك وفي حديث اسمعيل بن أبي حكيم أنها قالت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك إذا جاءك قال نعم فجاء
جبريل أخبرها فقالت له اجلس إلى شقي وذكر الحديث إلى آخره وفيه فقالت ما هذا
بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وأبشر وآمنت به فهذا يدل أنها مستثبتة بما فعلته
لنفسها ومستظهرة لإيمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي
صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من شواهق الجبال لا يقدح في هذا
الأصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا أن النبي
صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا إلا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه قد يحمل
على أنه كان أول الأمر كما ذكرناه أو أنه فعل ذلك لما أحرجه من تكذيب من بلغه
كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث ويصحح
معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله
أن المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم
على أن يقولوا إنه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل فقال
يا أيها المزمل يا أيها المدثر أو خاف أن الفترة لأمر أو سبب منه فخشي أن تكون عقوبة من ربه
ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس

عليه

عليه السلام خشية تكذيب قومه لما وعدهم به من العذاب وقوله الله في يونس
فظن أن لن نقدر عليه معناه أن لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة
الله وأن لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه أنه لا يقضي
عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما أصابه وقرئ نقدّر عليه بالتشديد وقيل لن نؤاخذه
بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه أفظن أن لن نقدر عليه على الاستفهام
ولا يليق أن يظن بنبي أن يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله إذ ذهب مغاضبا
الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهم لا لربه إذ
مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالأنبياء وقيل
مستحييا من قومه أن يسموه بالكذب أو يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض
الملوك فيما أمره به من التوجه إلى أمر أمره الله به على لسان نبي آخر فقال له يونس
غيري أقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس أن
إرسال يونس ونبوته إنما كان بعد أن نبذه الحوت واستدل من الآية بقوله فنبذناه
بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه ويستدل أيضا بقوله
ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون
هذه القصة إذا قبل نبوته فإن قيل فما معنى قوله عليه السلام إنه ليغان على قلبي
فأستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم أكثر من سبعين مرة فاحذر أن يقع ببالك
أن يكون هذا الغين وسوسة أو رينا وقع في قلبه عليه السلام بل أصل الغين في هذا ما يتغشى
القلب ويغطيه قاله أبو عبيدة وأصله من غين السماء وهو إطباق الغيم عليها وقال
غيره والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض
في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث أنه يغان على قلبه
مائة مرة أو أكثر من سبعين في اليوم إذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه

وهو أكثر الروايات وإنما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا
الغين إشارة إلى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر
ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع إليه من مقاساة البشر وسياسة
الأمة ومعاناة الأهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه
من أعباء أداء الرسالة وحمل الأمانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما
كان صلى الله عليه وسلم أرفع الخلق عند الله مكانة وأعلاهم درجة وأتمهم به
معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه وإقباله بكليته عليه
ومقامه هنالك أرفع حاليه رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا
من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا أولى وجوه الحديث
وأشهرها وإلى معنى ما أشرنا به مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد
وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات
والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة من أرباب
القلوب ومشيخة المتصوفة وممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة وأجله أن يجوز
عليه في حال سهو أو فترة إلى أن معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من أمر أمته عليه
السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين
هنا على قلبه السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه ويكون
استغفاره صلى الله عليه وسلم عندها إظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن
عطاء استغفاره صلى الله عليه وسلم وفعله هذا تعريف للأمة يحملهم على الاستغفار
قال غيره ويستشعر من الحذر ولا يركنون إلى الأمن وقد يحتمل أن تكون هذه الإغانة
حالة خشية وإعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة
لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة أفلا أكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الأخيرة

يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي
في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا
تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت
في ذلك الى قول من قال في آية نبينا صلى الله عليه وسلم لا تكونن ممن يجهل ان
الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي آية نوح لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق
لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز
على الانبياء والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال اني
اعظك وليس في آية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها
فكيف وآية نوح قبلها فلا تسئلن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما
قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد تجوز اباحة السؤال فيه
ابتداء فنهاه الله ان يسأل عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب
لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل
غير صالح حكى معناه مكي كذلك امر نبينا صلى الله عليه وسلم في الآية الاخرى
بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة
التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد اي فلا تكونوا
من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل
وجب القول بعصمة الانبياء منه بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم
من هذا وانه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا صلى الله عليه
وسلم على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الآية وقوله
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية وقوله اذا لاذقناك ضعف

الحيوة الآية وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع اكثر من في الارض
يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل
فما بلغت رسالته وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم
وفقنا الله واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف
امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يحب او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه
او يطيع الكافرين لكن يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين
وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه
بقوله والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون لا تخافا لتشتد بصائرهم
في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس
واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقوله اذا لاذقناك ضعف
الحيوة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله
وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين
كفروا الآية وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه
فالمراد غيره وان هذا حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه
هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء
ويامره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية وما كان طردهم عليه السلام
ولا كان من الظالمين فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه
خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في
شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والآثار بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا
ونشأتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة
كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل

الأخبار أن أحداً نُبِّئ واصطُفي ممن عُرف بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب
النقل وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وأنا أقول إن
قريشاً قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعيّر كفار الأمم
أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نص الله عليه ونقلته إلينا الرواة
ولم نجد في شيء من ذلك تعييراً لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه
بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه
في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل هذا أفظع وأقطع
في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل
ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلاً إليه إذ لو كان لنُقل
وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي
كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله
تعالى وإذ أخذ الله من النبيين ميثاقهم ومنك الآية وبقوله وإذ أخذ الله ميثاق النبيين
إلى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد أن يأخذ
منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل مولده بدهور
ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه إلا ملحد هذا معنى كلامه
وكيف يكون ذلك وقد أتاه جبريل وشق قلبه صغيراً واستخرج منه علقة وقال
هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وإيماناً كما تظاهرت به أخبار المبدأ
ولا يشتبه عليك بقول إبراهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فإنه قد قيل
كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف
وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مبكتاً لقومه ومستدلاً
عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الإنكار والمراد أهذا ربي قال الزجاج

قوله

قوله هذا ربي أي على قولكم كما قال أين شركائي أي عندكم ويدل على أنه
لم يعبد شيئاً من ذلك ولا أشرك قط بالله طرفة عين قول الله عز وجل عنه إذ قال
لأبيه وقومه ما تعبدون ثم قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون
فإنهم عدو لي إلا رب العالمين وقال إذ جاء ربه بقلب سليم وقوله واجنبني وبني
أن نعبد الأصنام فإن قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين
قيل إنه لم يؤيدني بمعونته أكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الإشفاق
والحذر وإلا فهو معصوم في الأزل من الضلال فإن قلت فما معنى قوله وقال
الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ثم قال بعد
عن الرسل قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها
فلا يشكل عليك لفظة العود وأنها تقتضي أنهم إنما يعودون إلى ما كانوا فيه من
ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة
كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمماً ولم يكونوا قبل ذلك ومثله قول الشاعر
فعادا بعدُ أبوالا وما كانوا قبل كذلك فإن قلت فما معنى قوله ووجدك ضالاً
فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالاً عن النبوة فهداك
إليها قاله الطبري وقيل وجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للإيمان
وإلى إرشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالاً عن شريعتك أي لا تعرفها
فهداك إليها والضلال ههنا التحير ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار
حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه ويتشرع به حتى هداه الله إلى الإسلام
قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك إليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن
تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى أي بيّن
أمرك بالبراهين وقيل وجدك ضالاً بين مكة والمدينة فهداك إلى المدينة

وقيل المعنى ووجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك
في الأزل أي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرأ الحسن بن علي ووجدك
ضال فهدى أي اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا أي محبا
لمعرفتي والضال المحب كما قال إنك لفي ضلالك القديم أي محبتك القديمة ولم يريدوا
ههنا في الدين إذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله إنا لنراها
في ضلال مبين أي محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان
ما أنزل إليك فهداك لبيانه لقوله وأنزلنا إليك الذكر الآية وقيل ووجدك
لم يعرفك أحد بالنبوة حتى أظهرك فهدى بك السعداء ولا أعلم أحدا قال
من المفسرين فيها ضالا عن الإيمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها إذا
وأنا من الضالين أي من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الأزهري
معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى أي ناسيا
كما قال تعالى أن تضل إحداهما فإن قلت فما معنى قوله ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الإيمان فالجواب أن السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن
ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان وقال بكر القاضي نحوه قال ولا الإيمان
الذي هو الفرائض والأحكام قال فكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض
التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف إيمانا وكذلك الحديث الذي يرويه
عثمان ابن أبي شيبة بسنده عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان
يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه أحدهما يقول لصاحبه اذهب
حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف أقوم خلفه وعهده باستلام الأصنام فلم يشهدهم
بعد فهذا حديث أنكره أحمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع أو شبيه بالموضوع وقال
الدارقطني يقال إن عثمان وهم في إسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على إسناده

فلا يلتفت إليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند أهل العلم
من قوله بغضت إلي الأصنام وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم
باللات والعزى إذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب وهو صبي ورأى فيه
علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله
ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه فقال
سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته صلى الله عليه وسلم وتوفيق الله له أنه
كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو
بعرفة لأنه كان موقف إبراهيم عليه السلام فصل قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الأنبياء في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم
في ذلك على ما بيناه فأما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها أنها مملوءة علما ويقينا
على الجملة وأنها قد احتوت من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن
طالع الأخبار واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا
صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه إلا أن أحوالهم
في هذه المعارف تختلف فأما ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء العصمة
من عدم معرفة الأنبياء ببعضها أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم
متعلقة بالآخرة وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها وأمور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم
من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبين
هذا في الباب الثاني إن شاء الله ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئا من أمر الدنيا
فإن ذلك يؤدي إلى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا
وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم
العلم بأمور الدنيا بالكلية وأحوال الأنبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة

ويعترف فيهم بذلك كله مشهورة وأما إن كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من
النبي صلى الله عليه وسلم إلا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لأنه لا يخلو أن يكون حصل عنده
ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له
العلم اليقين أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع
الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث أم سلمة إني إنما أقضي بينكم
برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات وكقصة أسرى بدر والإذن للمتخلفين على رأي
بعضهم فلا يكون أيضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده إلا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي
لا يلتفت إلى خلاف من خالف فيه لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب
عندنا ولا على القول الآخر بأن الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد
في الشرعيات ولأن القول في تخطئة المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم
واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم
قلبه فأما ما لم يعقد عليه قلبه من أمر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها أولا
إلا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها عنده إما بوحي من الله أو إذن أن يشرع
في ذلك ويحكم بما أراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى
استفرغ علم جميعها عنده عليه السلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق
ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل
الشرع الذي أمر بالدعوة إليه إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه وأما ما تعلق بعقده من
ملكوت السموات والأرض وخلق الله وتعيين أسمائه الحسنى وآياته الكبرى
وأمور الآخرة وأشراط الساعة وأحوال السعداء والأشقياء وعلم ما كان وما يكون مما لم يعلمه
إلا بوحي فعلى ما تقدم من أنه معصوم فيه لا يأخذه فيما أعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية
اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وإن كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع

البشر

البشر لقوله إني لا أعلم إلا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم
نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقول موسى للخضر هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت
رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم وقوله
أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى
وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن أسلم وغيره حتى ينتهي العلم إلى الله وهذا ما لا خفاء
به إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم
في التوحيد والشرع والمعارف والأمور الدينية **فصل** واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة
النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بأنواع الأذى ولا على
خاطره بالوساوس وقد أخبرنا القاضي أبو علي الحافظ رحمه الله أبو الفضل بن خيرون
العدل أبو بكر البرقاني وغيره أبو الحسن الدارقطني إسماعيل الصفار عباس الترقفي
محمد بن يوسف سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن
وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي ولكن الله أعانني عليه فأسلم
زاد غيره عن منصور فلا يأمرني إلا بخير وعن عائشة بمعناه وروي فأسلم بضم الميم
أي فأسلم أنا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فأسلم يعني القرين أنه
انتقل عن حال كفره إلى الإسلام فصار لا يأمر إلا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث
ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه فإذا كان هذا حكم
شيطانه وقرينه المسلط على بني آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا أقدر على الدنو
منه وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في إطفاء نوره وإماتة نفسه وإدخال
شغل عليه إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته فأخذه النبي صلى الله عليه
وسلم وأسره ففي الصحاح قال أبو هريرة عنه عليه السلام إن الشيطان عرض لي قال

عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلوة فأمكنني الله منه فذعته
ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا تنظرون إليه فذكرت قول أخي سليمان
رب اغفر لي وهب لي ملكا الآية فرده الله خاسئا وفي حديث أبي الدرداء
عنه عليه السلام أن عدو الله إبليس جاءني بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله
عليه وسلم في الصلوة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم أردت أخذه وذكر نحوه
وقال لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة وكذلك في حديثه في الإسراء
وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره في الموطأ ولما
لم يقدر على أذاه بمباشرته تسبب بالتوسط إلى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار
بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة أخرى في غزوة
يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية
ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله أمره وعصمه ضره وشره وقد
قال عليه السلام إن عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد
فطعن في الحجاب وقال عليه السلام حين لد في مرضه وقيل له خشينا أن يكون بك
ذات الجنب فقال إنها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطها علي فإن قيل فما معنى قوله تعالى
وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية فقال بعض المفسرين إنها راجعة
إلى قوله وأعرض عن الجاهلين ثم قال وإما ينزغنك أي يستخفنك غضب يحملك على ترك
الإعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد أن نزغ الشيطان
بيني وبين إخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ أدنى الوسوسة فأمر الله
تعالى أنه متى تحرك عليه غضب على عدوه أو رام الشيطان من إغرائه به وخواطر أدنى
وساوسه ما لم يجعل له إليه سبيل أن يستعيذ منه فيكفى أمره ويكون سبب تمام عصمته إذ لم يسلط عليه
بأكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه الآية غير هذا وكذلك لا يصح

ان يتصور

أن يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في أول الرسالة ولا بعدها والاعتماد
في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم أن ما يأتيه من الله الملك ورسوله
حقيقة إما بعلم ضروري يخلقه الله له أو ببرهان يظهر لديه لتتم كلمة ربك
صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فإن قيل فما معنى قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية فاعلم أن للناس في معنى
هذه الآية أقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث وأولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور
من المفسرين أن التمني ههنا التلاوة وإلقاء الشيطان فيها إشغاله بخواطر وأذكار
من أمور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه أو يدخل غير ذلك على أفهام
السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم آياته وسيأتي
الكلام على هذه الآية بعد بأشبع من هذا إن شاء الله وقد حكى السمرقندي إنكار قول من قال
بتسليط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وأن مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان
مبينة بعد هذا ومن قال إن الجسد هو الولد الذي ولد له وقال أبو محمد مكي في قصة أيوب
وقوله أني مسني الشيطان بنصب وعذاب أنه لا يجوز لأحد أن يتأول أن الشيطان
هو الذي أمرضه وألقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك إلا بفعل الله وأمره ليبتليهم
ويثيبهم قال مكي وقيل إن الذي أصابه من الشيطان ما وسوس به إلى أهله فإن قلت فما معنى
قوله تعالى عن يوشع وما أنسانيه إلا الشيطان وقوله عن يوسف فأنساه الشيطان ذكر ربه
وقول نبينا صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلوة يوم الوادي إن هذا واد به شيطان
وقول موسى عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم أن هذا الكلام قد يرد
في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص أو فعل بالشيطان أو فعله
كما قال تعالى كأنه رءوس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فإنما هو شيطان وأيضا
فإن قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه إذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال

الله تعالى واذ قال لفتيه والمروي انه انما نبي بعد موت موسى وقيل قبيل موته
وقوله موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن وقصة يوسف وقد ذكر انها
كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله انساه الشيطان قولين احدهما ان
الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر
للملك شان يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط
على يوسف ويوشع بوساوس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما
من امورهما ما ينسيهما ما نسياه واما قوله عليه السلام ان هذا واد به شيطان فليس فيه
ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان
بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان
في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد
به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن
الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض
به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله **فصل** واما قوله صلى الله عليه
وسلم فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان
طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا
وعمدا ولا سهوا او غلطا اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام
قول الله صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط
في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحق الاسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع
فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها
عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره
فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول

في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه
العمد ولا على غير عمد ولا في حالي الرضاء والسخط والصحة والمرض وفي حديث
عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله اكتب كلما اسمع منك قال نعم قلت في الرضاء والغضب
قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا
فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا
وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله
اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل اليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا
الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولاختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه
جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا
واجماعا كما قاله ابو اسحق **فصل** وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها
ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا سورة والنجم وقال افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى
وفي رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى
تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على
آلهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يتمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه
شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل عليه السلام جاءه فعرض عليه السورة فلما
بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تسلية
له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وقوله وان كادوا ليفتنونك فاعلم اكرمك الله

إن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما في توهين أصله والثاني
على تسليمه أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا
رواه ثقة بسند سليم متصل وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون
بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي
حيث قال لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون
مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته فقائل يقول
إنه في الصلاة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة وآخر يقول قالها
وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول إن الشيطان قالها
على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك وآخر
يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
قال والله ما هكذا أنزلت إلى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه
من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق
عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال
أبو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز
ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وإنما يعرف
عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف
من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه
كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه وأما حديث الكلبي فما لا تجوز الرواية
عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار رحمه الله والذي منه في
الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون

والجن

والجن والإنس هذا توهينه من طريق النقل فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت
الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة إما من تمنيه أن
ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو أن يتسور عليه الشيطان
ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم
أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليهما السلام وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله
عليه وسلم أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر
أو سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته صلى الله عليه
وسلم من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا أو أن يتشبه عليه ما يلقيه
الملك مما يلقي الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل أو أن يتقول على الله لا عمدا ولا
سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال الله تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية وقال
إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الآية ووجه ثان وهو استحالة هذه
القصة نظرا وعرفا وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض
الأقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم
ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على أدنى
متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه
ثالث أنه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة
من المسلمين نفورهم لأول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة
وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر
الإسلام لأدنى شبهة ولم يحك أحد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة
الأصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولأقامت بها اليهود عليهم
الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة

وكذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب
للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت فما روي عن معاند فيها كلمة
ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث أصلها ولا شك في
إدخال بعض شياطين الإنس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به
على ضعفاء المسلمين. ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت وإن كادوا
ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر
أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم فمضمون هذا
ومفهومه أن الله عصمه من أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلا فكيف
كثيرا وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء
بمدح آلهتهم وأنه قال صلى الله عليه وسلم افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا
ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله
في الآية الأخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك
وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي عن ابن عباس كل ما في القرآن
كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ولم يذهب
وأكاد أخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبه قريش وثقيف
إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها ووعدوه الإيمان به إن فعل فما فعل ولا
كان ليفعل قال ابن الأنباري ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى
هذه الآية تفاسير أخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله ترد سفسافها فلم يبق
في الآية إلا أن الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا
من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية
وأما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد أعاذنا الله من صحته

ولكن على ذلك من حال فقد أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين
فمنها ما روى قتادة ومقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابته سنة عند
قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح إذ
لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم مثله في حالة من أحواله ولا يخلقه الله على
لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد
والسهو وفي قول الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه
وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك
من الشيطان وكل هذا لا يصح أن يقوله صلى الله عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا ولا
يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله أثناء تلاوته
على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول إبراهيم عليه السلام هذا ربي على أحد التأويلات
وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع إلى تلاوته
وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وأنه ليس من المتلو وهو أحد ما ذكره
القاضي أبو بكر ولا يعترض على هذا بما روي أنه كان في الصلاة فقد كان الكلام
قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على
تسليمه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل
الآي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات
ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه
من دنا إليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها ولم يقدح
ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى
الله عليه وسلم في ذم الأوثان وعيبها ما عرف منه ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله
عليه وسلم لهذه الإشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما أرسلنا

من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى يعني تمنى تلاوة قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب
الا اماني اي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به
ويحكم آياته وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرأه
فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية انه حدثت نفسه وقال
اذا تمنى اي حدثت نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في
القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس
من القرآن بل السهو عن اسقاط آية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه
عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز
مما يتطرق في تأويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانيق العلى فان
سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرآنا والمراد بالغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانيق انها الملائكة
وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى
الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله ألكم الذكر وله الانثى فانكر الله
كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على
ان المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه
اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم آياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين
وجد الشيطان بهما سبيلا للالباس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان
في انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي به من يشاء
وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه
الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الآية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم

لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار
ان يأتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة
النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله
لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك
من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا من قبلك الآية وبين للناس
الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن واحكم آياته ودفع ما لبس به العدو كما
ضمنه تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر الآية ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه
السلام انه وعد قومه العذاب عن ربه فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا
فلما تابوا كشف عنهم العذاب فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب
ان يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب
صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال
ثم دفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي الآية وروي في الاخبار انهم رأوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن
مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روي ان
عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا
وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز
حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث آخر فيقول له النبي صلى
الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما
حكيما فيقول سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان
يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له

فاعلم ثبتنا الله وإياك على الحق ولا جعل للشيطان في تلبيسه الحق بالباطل
إلينا سبيلا أن مثل هذه الحكايات أولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا إذ هي حكاية عن مرتد
وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله
ما هو أعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت
من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن أحد من المسلمين ولا
ذكر أحد من الصحابة أنه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وإنما يفتري الكذب
الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ولو كانت صحيحة لما كان
فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه ولا جواز للنسيان
والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وأنه من عند الله إذ ليس فيه لو صح أكثر
من أن الكاتب قال له عليم حكيم أو كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه
لسانه أو قلمه لكلمة أو كلمتين مما نزل على الرسول قبل إظهار الرسول لها إذ كان ما تقدم
مما أملاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته
به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف إذا سمع البيت أن يسبق إلى قافيته
أو مبتدأ الكلام الحسن إلى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في
آية ولا سورة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم إن صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان
فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان أنزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فأملى
إحداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام إلى الأخرى فذكرها للنبي
صلى الله عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم أحكم الله
من ذلك ما أحكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله إن
تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة
فإنك أنت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع

وقرأ بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر إلى العظام كيف ننشرها وننشزها
ويقص الحق ويقضي الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم
غلطا ولا وهما وقد قيل إن هذا يحتمل أن يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم
إلى الناس غير القرآن فيصف الله ويسميه في ذلك كيف شاء

فصل هذا القول
فيما طريقه البلاغ وأما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الأخبار التي لا مستند
لها إلى الأحكام ولا أخبار المعاد ولا تضاف إلى وحي بل في أمور الدنيا وأحوال
نفسه فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف
مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وأنه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه
وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف وإجماعهم عليه وذلك أنا نعلم
من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم إلى تصديق جميع أحواله والثقة بجميع أخباره في أي باب
كانت وعن أي شيء وقعت وأنه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات
عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو أم لا ولما احتج ابن أبي الحقيق اليهودي على عمر حين
أجلاهم من خيبر بإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله
عليه وسلم كيف بك إذا أخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من أبي القاسم
فقال عمر كذبت يا عدو الله وأيضا فإن أخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها
مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه صلى الله عليه وسلم لغلط في قول
قاله أو اعتراف بوهم في شيء أخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته صلى الله عليه وسلم
رجوعه عما أشار به على الأنصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الأمور
التي ليست من هذا الباب كقوله والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا فعلت
الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله إنكم تختصمون إلي الحديث
وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من المشكل في هذا الباب

والذي يغلب إن شاء الله منع أشباههما وأيضاً فإن الكذب متى عرف من أحد في شيء
من الأخبار بخلاف ما هو على أي وجه كان استريب في خبره واتهم في حديثه ولم يقع
قوله في النفوس موقعاً ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم
والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وأيضاً فإن تعمد الكذب
في أمور الدنيا معصية والإكثار منه كبيرة بإجماع مسقط للمروءة وكل هذا
مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل
بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك وأما فيما لا يقع هذا الموقع فإن عددناها
من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن
قليله وكثيره سهوه وعمده إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين وتصديق
ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك
فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بأنه لا يجوز على الأنبياء خلف في القول في وجه
من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال
السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبأنه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام
به في أمورهم وأحوال دنياهم لأن ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم
بعد وانظر أحوال أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الأمم
وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف
واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من
الآثار فيه في الباب الثاني أول الكتاب ما يبين لك صحة ما أشرنا إليه

فصل

فإن قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه
أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر نا القاضي أبو الأصبغ بن سهل نا حاتم بن محمد نا أبو عبد الله
بن الفخار نا أبو عيسى نا عبيد الله نا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان

مولى ابن أبي أحمد أنه قال سمعت أبا هريرة يقول صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله أقصرت
الصلاة أم نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية
الأخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فأخبر بنفي الحالتين وأنهما لم يكونا وقد
كان أحد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا
الله وإياك أن للعلماء في ذلك أجوبة بعضها بصدد الإنصاف ومنها ما هو بنية
التعسف والاعتساف وها أنا أقول أما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه
من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه
وأما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في أفعاله جملة ويرى أنه في مثل هذا عامد
لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره لأنه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا
القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه
نذكره في موضعه وأما على إحالة السهو عليه في الأقوال وتجويز السهو عليه
فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه أجوبة منها أن النبي صلى الله عليه وسلم
أخبر عن اعتقاده وضميره أما إنكار القصر فحق وصدق باطناً وظاهراً وأما النسيان
فأخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وأنه لم ينس في ظنه فكأنه قصد الخبر بهذا
عن ظنه وإن لم ينطق به وهذا صدق أيضاً ووجه ثان أن قوله ولم أنس راجع إلى السلام
أي إني سلمت قصداً وسهوت عن العدد أي لم أسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد
ووجه ثالث وهو أبعدها ما ذهب إليه بعضهم وإن احتمله اللفظ من قوله كل
ذلك لم يكن أي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان أحدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع
الرواية الأخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت هذا ما رأيت فيه لأئمتنا
وكل من الوجوه محتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف الآخر منها قال القاضي أبو الفضل رضي الله

عنه والذي أقول ويظهر لي أنه أقرب من هذه الوجوه كلها أن قوله لم أنس
إنكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وأنكره على غيره بقوله بئس ما لأحدكم أن يقول
نسيت آية كذا وكذا ولكنه نُسّي وبقوله في بعض روايات الحديث الآخر لست
أنسى ولكن أُنسّى فلما قال له السائل أقصرت الصلاة أم نسيت أنكر قصرها
كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وأنه إن كان جرى شيء من ذلك فقد نُسّي حتى
سأل غيره فتحقق أنه نُسّي وأُجري عليه ذلك ليَسُنّ فقوله على هذا لم أنس ولم تقصر
وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم أنس حقيقة ولكنه نُسّي ووجه
آخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك أنه قال إن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لأن النسيان غفلة وآفة
والسهو إنما هو شغل قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته
ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلاً بها لا غفلة
عنها فهذا إن تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت وما نسيت خلف
في قول وأما قصة كلمات إبراهيم صلى الله عليه وسلم المذكورة في الحديث أنها
كذباته الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله إني سقيم وبل فعله كبيرهم
هذا وقوله للملك عن زوجته إنها أختي فاعلم أكرمك الله أن هذه كلها خارجة
عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة
عن الكذب أما قوله إني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم أي إن كل مخلوق
معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم إلى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر
علي من الموت وقيل بل سقيم القلب بما أشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت
الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه
كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما أراد بيانه لهم

من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وأنه أثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته
عليهم في حال سقم ومرض حال مع أنه لم يشك هو ولا ضعف إيمانه ولكنه ضعيف
في استدلاله عليهم وسقيم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى ألهمه الله
باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله وقد قدمنا بيانه
وأما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فإنه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال إن
كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق أيضاً ولا خلف فيه وأما قوله
أختي فقد بين في الحديث وقال فإنك أختي في الإسلام وهو صدق والله يقول إنما
المؤمنون إخوة فإن قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب
إبراهيم إلا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه أنه لم يتكلم
بكلام صورته صورة الكذب وإن كان حقاً في الباطن إلا هذه الكلمات ولما كان
مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق إبراهيم عليه السلام بمؤاخذته بها وأما الحديث
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورّى بغيرها فليس فيه خلف في القول
إنما هو ستر مقصده لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن
موضع آخر والبحث عن أخباره والتعريض بذكره لا أنه يقول تجهزوا إلى غزوة كذا
أو وجهتنا إلى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والأول ليس فيه خبر
يدخله الخلف فإن قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل أي الناس أعلم فقال
أنا أعلم فعتب الله عليه ذلك إذ لم يرد العلم إليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع
البحرين أعلم منك وهذا خبر قد أنبأنا الله أنه ليس كذلك فاعلم أنه وقع في هذا الحديث
من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم أحداً أعلم منك فإذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق
وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح
به لأن حاله في النبوة والاصطفاء تقتضي ذلك فيكون إخباره بذلك أيضاً عن اعتقاد

وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد زين بقوله أنا اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم
التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور
اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة
في خبرهما فكان موسى عليه السلام اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على
الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك
عليه فيما قاله العلماء انكاره هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت
الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدي
به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان
نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل
الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها
اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال صلى الله عليه وسلم تحفظا من مثل هذا
مما قد علم به انا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث احد حجج القائلين بنبوة الخضر
لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي واما الانبياء فيتفاضلون
في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال
يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى نبي
غيره الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا
اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات
نبوة الخضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر
اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال اخر انما الجئ موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم

فصل واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول
باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا

التوحيد

التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء
من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه
وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة
واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة
والتقصير في التبليغ لان كل ذلك تقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك
من الكافة واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب
ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به
وذهبت طائفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات
في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين
الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس في الصغائر
وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة
وانه انما سمي منها الصغائر بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر
كان يجب كونه كبيرة **قال** القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان
في معاصي الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع
ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشيئة في العفو عنها الى الله وهو
قول القاضي ابي بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا
ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها
اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروءة واوجبت
الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط
منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون عن ذلك
بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح

إلى الحظر وقد ذهب بعضهم إلى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل
بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير إلى امتثال أفعالهم واتباع آثارهم
وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من أصحاب مالك والشافعي وأبي
حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وإن اختلفوا في حكم ذلك وحكى
ابن خويز منداد وأبو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الأبهري وابن
القصار وأكثر أصحابنا وقول أكثر أهل العراق وابن سريج والإصطخري وابن خيران
من الشافعية وأكثر الشافعية على أن ذلك ندب وذهبت طائفة إلى الإباحة وقيد بعضهم
الاتباع فيما كان من الأمور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالإباحة في أفعاله
لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم إذ ليس كل فعل
من أفعاله يتميز مقصده به من القربة أو الإباحة أو الحظر أو المعصية ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال
أمر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا من الأصوليين ونزيد
هذا حجة بأن نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون أنه
لا يقر على منكر من قول أو فعل وأنه متى رأى شيئا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل
على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ
تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل وإذ الحظر أو الندب على الاقتداء بفعله ينافي
الزجر والنهي عن فعل المكروه وأيضا فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء
بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء بأقواله فقد نبذوا
خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر إياه جالسا
لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة
أو العادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال هلا أخبرتيها
أني أقبل وأنا صائم وقالت عائشة محتجة كنت أفعله أنا ورسول الله

صلى الله عليه وسلم وغضب رسول الله عليه السلام على الذي أخبر بمثل هذا عنه
فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده
والآثار في هذا أعظم من أن نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم
أفعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم
وظهر بحثهم عن ذلك ولما أنكر صلى الله عليه وسلم على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه
وأما المباحات فجائز وقوعها منهم إذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وأيديهم
كأيدي غيرهم مسلطة عليها إلا أنهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم
من أنوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الآخرة لا يأخذون من المباحات
إلا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم
وما أخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه أول الكتاب طرفا في خصال
نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر أنبيائه عليهم السلام
بأن جعل أفعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية

فصل

وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح
إن شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسألة تصورها
كالممتنع فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال
نبينا صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه هل كان متبعا لشرع قبله أم لا فقال جماعة
لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه
حينئذ إذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلف حجج
القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الأمة القاضي أبو بكر إلى
أن طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته أنه لو كان ذلك لنقل ولما
أمكن كتمه وستره في العادة إذ كان من مهم أمره وأولى ما اهتبل به من سيرته

ولافتخر به أهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت
طائفة إلى امتناع ذلك عقلا قالوا لأنه يبعد أن يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا على
هذا التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك إلى النقل كما تقدم للقاضي
أبي بكر أولى وأظهر وقالت فرقة أخرى بالوقف في أمره عليه السلام وترك قطع
الحكم عليه بشيء في ذلك إذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها في أحدهما
طريق النقل وهو مذهب أبي المعالي وقالت فرقة ثالثة إنه كان عاملا بشرع من قبله
ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع أم لا فوقف بعضهم عن تعيينه وأحجم وجسر بعضهم
على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل إبرهيم وقيل موسى
وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة والأظهر فيها
ما ذهب إليه القاضي أبو بكر وأبعدها مذاهب المعينين إذ لو كان شيء من ذلك لنقل
كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في أن عيسى آخر الأنبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها
إذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح أنه لم يكن لنبي دعوة عامة إلا لنبينا صلى الله
عليه وسلم ولا حجة أيضا للآخر في قوله تعالى أن اتبع ملة إبرهيم حنيفا وللآخرين في قوله
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الآية على اتباعهم في التوحيد كقوله أولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة
تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول إنه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة
منهم في هذه الآية شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على أن المراد ما اجتمعوا عليه
من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر
الأنبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم أو يخالفون بينهم أما من منع الاتباع عقلا فيطرد
أصله في كل رسول بلا مرية وأما من مال إلى النقل فأينما تصور له وتقرر اتبعه
ومن قال بالوقف فعلى أصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلزمه بمساق حجته

في كل نبي **فصل** هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الأعمال عن قصد وهو ما
يسمى معصية ويدخل تحت التكليف وأما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو
والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك
المؤاخذة عليه فأحوال الأنبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع أممهم
سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الأحكام وتعليم الأمة بالفعل
وأخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه أما الأول فحكمه عند جماعة
من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق
النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا أو سهوا فكذلك قالوا الأفعال
في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لأنها بمعنى القول من جهة التبليغ
والأداء وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن واعتذروا عن أحاديث
السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا وإلى هذا مال أبو إسحق وذهب الأكثر من الفقهاء
والمتكلمين إلى أن المخالفة في الأفعال البلاغية والأحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد
منه جائز عليه كما تقرر من أحاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين الأقوال البلاغية
لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك يناقضها وأما السهو في الأفعال
فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر
كما قال صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني بل حالة
النسيان والسهو هنا في حقه صلى الله عليه وسلم سبب إفادة علم وتقرير شرع كما قال
عليه السلام إني لأنسى أو أنسى لأسن بل قد روي لست أنسى ولكن أنسى لأسن
وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص واعتراض
الطعن فإن القائلين بتجويز ذلك يشترطون أن الرسل لا تقر على السهو والغلط
بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول

الأخرى وأما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الأحكام من أفعاله عليه السلام
وما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالأكثر من طبقات علماء
الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك
بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الأمة ومعاناة الأهل وملاحظة الأعداء
ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال صلى الله عليه وسلم إنه
ليغان على قلبي فأستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت
طائفة إلى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم
جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة وأصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه
الأحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا إن شاء الله

فصل

في الكلام على الأحاديث
المذكور فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز
عليه السهو عليه السلام وما يمتنع وأحلناه في الأخبار جملة وفي الأقوال الدينية قطعا
وأجزنا وقوعه في الأفعال الدينية على الوجه الذي رتبناه وأشرنا إلى ما ورد في ذلك
ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الأحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة
ثلاثة أحاديث أولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة
في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر
خمسا وهذه الأحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن
به إذ البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول وأرفع للاحتمال وشرطه أنه لا يقر على هذا
السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وإن النسيان
والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال
صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وقال
رحم الله فلانا لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتهن ويروى أنسيتهن وقال

صلى الله عليه وسلم إني لأنسى أو أنسى لأسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي
وقد روي إني لا أنسى ولكن أنسى لأسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار أنه
ليس بشك وأن معناه التقسيم أي أنسى أنا أو ينسيني الله قال القاضي أبو الوليد
الباجي يحتمل ما قالاه أن يريد أني أنسى في اليقظة وأنسى في النوم أو أنسى على سبيل
عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو أو أنسى مع إقبالي عليه وتفرغي له فأضاف
أحد النسيانين إلى نفسه إذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه إذ هو فيه
كالمضطر وذهبت طائفة من أصحاب المعاني والكلام على الحديث إلى أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لأن النسيان ذهول وغفلة
وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان صلى الله عليه وسلم
يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة
عنها واحتج بقوله في الرواية الأخرى إني لا أنسى وذهبت طائفة إلى منع هذا
كله عنه وقالوا إن سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب
عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لأنه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة
لهم في قولهم إنه أمر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله إني لأنسى أو أنسى وقد أثبت
أحد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون
وقد مال إلى هذا عظيم من المحققين من أئمتنا وهو أبو المظفر الإسفرايني ولم يرتضه
غيره منهم ولا أرتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله إني لا أنسى ولكن أنسى
إذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وإنما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لأحدكم أن يقول
نسيت آية كذا ولكنه نسي أو نفي الغفلة وقلة الاهتمام بأمر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي
بعضها ببعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو فشغل
بطاعة عن طاعة وقيل إن الذي ترك يوم الخندق أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء

عنها

ويرجح من ذهب الى جواز تأخير الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الأمن
وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت
فما تقول في نومه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان
ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند
نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته
ويصحح هذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول
بلال فيه ما ألقيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لأمر يريده من اثبات
حكم وتأسيس سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله لأيقظنا ولكن
اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه
لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا
يتوضأ وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوؤه عند قيامه من النوم
فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل
ذلك لملامسة الاهل او لحدث آخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام
حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من اجل انه
يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا
من فعل القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها
الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا
الصبح فقيل في الجواب انه كان من شأنه صلى الله عليه وسلم التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر
لا تصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة اوله
ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه صلى الله عليه وسلم
عن قول نسيت وقد قال صلى الله عليه وسلم اني انسى كما تنسون فاذا

نسيت

نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت انسيتها فاعلم
اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت آية كذا فمحمول
على ما نسخ حفظه من القرآن اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما
يشاء ويثبت وما كان من سهو او غفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد
قيل ان هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه
والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه صلى الله عليه وسلم لما اسقط
من هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها
من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز
ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسى منه قبل البلاغ ما لا
يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه
لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه **فصل** في الرد على من اجاز عليهم
الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء
من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم من المتكلمين على ذلك احتجوا على ذلك بظواهر
كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر
وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه
وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه
من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطأ
قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن نأخذ في النظر فيها ان شاء الله فمن ذلك قوله
تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا
الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم

وقوله عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما قص من قصص غيره من الأنبياء كقوله وعصى
آدم ربه فغوى وقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء الآية وقوله عنه ربنا
ظلمنا أنفسنا الآية وقوله عن يونس سبحانك إني كنت من الظالمين وما ذكره من قصة
وقصة داود وقوله وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب إلى قوله وحسن
مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع إخوته وقوله عن موسى
فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم
في دعائه اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ونحوه من أدعيته صلى الله
عليه وسلم وذكر الأنبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله إنه
ليغان على قلبي فأستغفر الله وفي حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله وأتوب إليه
في اليوم أكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح وإلا تغفر لي وترحمني الآية وقد
كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون وقال عن إبراهيم والذي
أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى تبت إليك وقوله ولقد فتنا
سليمان إلى ما أشبه هذه الظواهر فأما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب
وما لم يقع أعلمه الله أنه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه
أحمد بن نصر وقيل المراد بذلك أمته صلى الله عليه وسلم وقيل المراد ما كان عن سهو
وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لأبيك آدم وما
تأخر من ذنوب أمتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله
يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي
صلى الله عليه وسلم ههنا هي مخاطبة لأمته وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم
لما أمر أن يقول وما أدري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فأنزل الله

تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية وبمآل المؤمنين في الآية
الأخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الآية أنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب
أن لو كان قال بعضهم المغفرة ههنا تبرئة من العيوب وأما قوله ووضعنا
عنك وزرك الذي أنقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو
قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه أنه حفظ قبل نبوته منها
وعصم ولولا ذلك لأثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما أثقل
ظهره من أعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل أيام
الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك
حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك
ومعنى أنقض أي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى
الله عليه وسلم بأمور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها أوزارا وثقلت
عليه وأشفق منها أو يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لأنقضت
ظهره أو يكون من ثقل الرسالة أو ما ثقل عليه وشغل قلبه من أمور الجاهلية وإعلام الله
تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه وأما قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم فأمر لم يتقدم
للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية
بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب إلى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله
من ذلك بل كان مخيرا في أمرين قالوا وقد كان له أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه
وحي فكيف وقد قال الله له فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع
عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وأنه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا ههنا
بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
ولم تجب عليهم قط أي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وإنما يقول العفو لا يكون

الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك
ذنبا قال الداودي روي انها كانت تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله
واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى بدر ما كان
لنبي ان تكون له اسرى الآيتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل
فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما
قال صلى الله عليه وسلم احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون
عرض الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا
وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا علية
اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل
الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال
تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون في معنى الآية فقيل معناها
لولا انه سبق مني الا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى
معصية ثم قيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعو
قبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن
وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح
المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص
قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم
قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جا جبريل عليه السلام الى النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاوا القتل
وان شاوا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل
على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما

كان

كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم
وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري
وقوله صلى الله عليه وسلم في هذه القضية لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة
الى هذا من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه
وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار
بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي
والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا
نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر فيه اليه وقد نزهه الله عن ذلك وقال
القاضي بكر بن العلاء اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ان تاويله
وافق ما كتب له من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله
بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك
عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم
في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم
لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته
بتعريفهم ما كتب في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب
هذا معنى كلامه واما قوله عبس وتولى الآيات فليس فيه اثبات ذنب له صلى الله
عليه وسلم بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى
كان لو كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم
لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له
لا معصية ومخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر
عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعبس وتولى الكافر

الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة آدم عليه السلام وقوله
تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما
عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه فغوى اي جهل
وقيل اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي
ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان
هذا عدو لك ولزوجك الاية قيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي الا
نسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس
لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روي عذر ادم بمثل
هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسي
ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان
العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله وصف
خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا
اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك
وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله وعصى ادم ربه
فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد
العصيان وقيل بل اكلها متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تأول نهي
الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ
لا من المخالفة وقيل تأول ان الله لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله
تعالى وعصى ادم وقال فتاب عليه وهدى وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه
واني نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن اشباهه مجملا اخر الفصل
ان شاء الله واما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس نص على

ذنب

ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه
عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم
قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف
ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله
ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله اذ ابق الى الفلك المشحون
قال المفسرون تباعد واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير
موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه
او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال
الواسطي معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا
قول آدم وحواء ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه
واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت
الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين
ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن
داود انما فتناه فاستغفر ربه الى قوله وحسن مآب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اي اختبرناه
واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود
على ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر
عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره وقيل خطبها على خطبته وقيل
بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين
لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه والى نفي ما اضيف في الاخبار الى داود من ذلك ذهب احمد بن
نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود واوريا خبر يثبت
ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين الذين اختصما اليه رجلان في نتاج

عنهم على ظاهر الآية. وأما قصة يوسف وإخوته فليس على يوسف منها تعقب، وأما إخوته
فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على أفعالهم، وذكر الأسباط وعدهم في القرآن عند ذكر
الأنبياء، قال المفسرون: يريد من نبي من أبناء الأسباط. وقد قيل إنهم كانوا حين فعلوا
بيوسف ما فعلوه صغار الأسنان، ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به، ولهذا
قالوا أرسله معنا غدا نرتع ونلعب. وإن ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله أعلم.
وأما قول الله تعالى: ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه، فعلى مذهب
كثير من الفقهاء والمحدثين أن هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله صلى الله عليه
وسلم عن ربه: إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، فلا معصية في همه
إذا. وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإن الهم إذا وطنت عليه النفس سيئة،
وأما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه، وهذا هو الحق، فيكون
إن شاء الله هم يوسف من هذا، ويكون قوله: وما أبرئ نفسي، الآية، أي ما أبرئها من هذا
الهم، أو يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ،
فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف لم يهم، وأن الكلام فيه تقديم وتأخير،
أي ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها. وقد قال الله تبارك وتعالى
عن المرأة: ولقد راودته عن نفسه فاستعصم. وقد قال تعالى: كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء. وقال: وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي
أحسن مثواي، الآية، قيل في ربي: الله، وقيل: الملك. وقيل هم بها أي بزجرها ووعظها،
وقيل هم بها أي غمها امتناعه عنها، وقيل هم بها نظر إليها، وقيل هم بضربها
ودفعها، وقيل هذا كله كان قبل نبوته. وقد ذكر بعضهم: ما زال النساء يملن إلى يوسف ميل
شهوة حتى نبأه الله، فألقى عليه هيبة النبوة، فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه.
وأما خبر موسى مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله أنه من عدوه، قال: كان من القبط

الذي على دين فرعون. ودليل السورة في هذا كله أنه قبل نبوة موسى. وقال
قتادة: وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله. فعلى هذا لا معصية في ذلك. وقوله: هذا من
عمل الشيطان، وقوله: ظلمت نفسي فاغفر لي. قال ابن جريج: قال ذلك من أجل أنه لا ينبغي
لنبي أن يقتل حتى يؤمر. وقال النقاش: لم يقتله عن عمد مريدا للقتل، وإنما وكزه وكزة
يريد بها دفع ظلمه. قال: وقد قيل إن هذا كان قبل النبوة، وهو مقتضى التلاوة. وقوله
تعالى في قصته: وفتناك فتونا، أي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء، قيل في هذه القصة
وما جرى له مع فرعون، وقيل إلقاؤه في التابوت واليم وغير ذلك، وقيل معناه أخلصناك
إخلاصا، قاله ابن جبير ومجاهد، من قولهم: فتنت الفضة في النار إذا خلصتها. وأصل الفتنة
معنى الاختبار وإظهار ما بطن، إلا أنه استعمل في عرف الشرع في اختبار أدى إلى ما يكره.
وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من أن ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها، الحديث،
ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له، إذ هو ظاهر الأمر،
بين الوجه، جائز الفعل، لأن موسى دافع عن نفسه من أتاه لإتلافها، وقد تصور له
في صورة آدمي، ولا يمكن أنه علم حينئذ أنه ملك الموت، فدافعه عن نفسه مدافعة أدت إلى ذهاب
عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله، فلما جاءه بعد وأعلمه أنه رسول
الله إليه استسلم. وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث أجوبة، هذا أسدها عندي، وهو
تأويل شيخنا الإمام أبي عبد الله المازري. وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه
ولطمه بالحجة وفقء عينه بحجته، وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف. وأما
قصة سليمان وما حكى فيها أهل التفسير من ذنبه، وقوله: ولقد فتنا سليمان، فمعناه ابتليناه،
وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو
تسع وتسعين، كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله،
فلم يقل، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. قال النبي صلى الله عليه وسلم: والذي

نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال أصحاب المعاني والشق هو
الجسد الذي ألقي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات
فألقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لأنه لم يستثن لما
استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته أن سلب ملكه وذنبه أن أحب
بقلبه أن يكون الحق لأختانه على خصمهم وقيل أوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله
الأخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في
حكمه لأن الشيطان لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الأنبياء من مثله وإن سئل لم
يقل سليمان في القصة المذكورة إن شاء الله فعنه أجوبة أحدها ما روي في الحديث
الصحيح أنه نسي أن يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني أنه لم يسمع صاحبه
وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على
الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون ألا يسلط عليه
أحد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه إياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل أراد أن
يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من أنبياء الله ورسله بخواص منه
وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كإلانة الحديد لأبيه وإحياء الموتى لعيسى
واختصاص محمد بالشفاعة ونحو هذا وأما قصة نوح عليه السلام فظاهرة العذر وأنه
أخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى وأهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ وأراد علم
ما طوي عليه من ذلك لا أنه شك في وعد الله فبين الله عليه أنه ليس من أهله الذين وعده
بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد أعلمه أنه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته
فيهم فأوخذ بهذا التأويل وعتب عليه وأشفق هو من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن
له في السؤال فيه وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الآية غير هذا
وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله وإقدامه بالسؤال فيما لم

الشياطين

يؤذن

يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من أن نبيا قرصته نملة فحرق قرية
النمل فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح فليس في هذا الحديث
أن هذا الذي أتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة
بما أباح الله ألا ترى أن هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما آذته النملة تحول برحله
عنها مخافة تكرار الأذى عليه وليس فيما أوحى الله إليه ما يوجب معصية بل ندبه
إلى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين إذ ظاهر
فعله إنما كان لأجل أنها آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها
من بقية النمل هناك ولم يأت في كل هذا أمر نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما أوحى الله إليه
بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله أعلم فصل فإن قلت فإذا نفيت عنهم
صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين
فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث من اعتراف
الأنبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم وإشفاقهم وهل
يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله وإياك أن درجة الأنبياء
في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما
يحملهم على الخوف منه جل جلاله والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وأنهم
في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولا أمروا بها ثم أوخذوا عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا
من المؤاخذة بها وأتوها على وجه التأويل أو السهو أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفون
وجلون وهي ذنوب بالإضافة إلى علي منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها
كذنوب غيرهم ومعاصيهم فإن الذنب مأخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء أي
آخره وأذناب الناس رذالهم فكأن هذه أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم
وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر

والخفي والخشية لله واعظامه في كبر والعلانية وغيرهم يتلوثون من الكبائر
والقبائح والفواحش ما يكون بالاضافة الى هذه الهنات في حقه كالحسنات كما
قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات
وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو او
تاويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي
الجهل وقيل اخطا ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه
السلام قد وخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان
ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل انسي يوسف ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان
يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في
السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني
وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم
يؤاخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف
ما اتوا به من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان
الانبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته
وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذه اسوأ حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت المؤاخذة
في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك
زيادة لهم في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم
كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الاية
وقال بعد قول موسى تبت اليك اني اصطفيتك على الناس وقال بعد
ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن ماب قال بعض
المتكلمين زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف واشار الى

نحو

نحو مما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم
بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر
على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم
ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم يكن ما نص الله
من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم وايضا
فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف
بعصمة الانبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا
فما معنى المؤاخذة بها اذا عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت
فما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال السهو والتاويل وقد قيل ان كثرة
استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء على وجه ملازمة الخضوع
والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال صلى الله عليه وسلم وقد امن
من المؤاخذة بما تقدم وتاخر افلا اكون عبدا شكورا وقال اني اخشاكم لله واعلمكم بما
اتقي قال الحارث بن اسد خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام وتعبد لله لانهم
امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم اممهم كما قال صلى الله عليه وسلم
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار
معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله تعالى قال الله تعالى
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الرسل والانبياء الاستغفار والتوبة
والانابة والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال
الله تعالى لنبيه بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الاية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قد استبان
لك بما قررناه ايها الناظر ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته وكونه على حالة

نا في العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا وإجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قرره من أمور الشرع وأداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وأرسله قصدا أو غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا وإجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر إجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للأمة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح مما يجب لك أن تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فإن من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم أو يجوز أو يستحيل عليه ولا يعرف صور أحكامه لا يأمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب أن يضاف إليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الأسفل من النار إذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما إنها صفية ثم قال لهما إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا هذه أكرمك الله إحدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله إذا سمع شيئا منها يرى أن الكلام فيها جملة من فضول العلم وأن السكوت أولى وقد استبان لك أنه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر إليها في أصول الفقه وتنبني عليها مسائل لا تتعدد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وهو باب عظيم وأصل كبير من أصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في أخباره وبلاغه وأنه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في أفعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال

الفعل

الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج إليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الأمور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الإجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن أين يدري هل ما قاله فيه نقص أو مدح فإما أن يجترئ على سفك دم مسلم حرام أو يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم وليستبيل هذا ما اختلف أرباب الأصول وأئمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة

فصل في القول في عصمة الملائكة أجمع المسلمون أن الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة إلى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وبقوله إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الآية وقوله كرام بررة ولا يمسه إلا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة إلى أن هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا بأشياء ذكرها أهل الأخبار والتفاسير نحن نذكرها إن شاء الله بعد ونبين الوجه فيها إن شاء الله والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا أشار إلى لا حاجة بالفقيه إلى الكلام في عصمتهم وأنا أقول إن للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الأنبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الأقوال والأفعال فهي ساقطة هاهنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها أهل الأخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما

فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القران اختلف
المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه
الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الايات من افترائهم بذلك على
سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك
ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله فاختلف اولا في هاروت وماروت
وهل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراة ملكين او ملكين
وهل ما في قوله وما انزل على وما يعلمان من احد نافية ام موجبة فاكثر المفسرين ان
الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه
امن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن
جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه سحر
فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي
لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وما
روت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرا بعضهم وما انزل على
الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر
الذي قد ذكر غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من
الله وابتلاء فكيف لا ينزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد
لم ينزل يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل
على الملكين قال مكي هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به
كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمان
الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان يعلمانه قال الحسن هاروت

وماروت

وماروت علجان من اهل بابل وقرا وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا
على هذا وكذلك قراة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود
وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرايل فمسخهما
الله حكاه السمرقندي والقراة بكسر اللام شاذة فحمل الاية على تقدير ابي محمد مكي
حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم
مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس وانه
كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من
الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك
وانه ابو الجن كما ادم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان
من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام
العرب سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار
ان خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم فابوا فحرقوا ثم اخرون
كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار
فلا يشتغل بها

فيما يخصهم في الامور الدنيوية وطرو عليهم من العوارض
البشرية قد قدمنا انه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء والرسل من البشر عليهم السلام
وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الافات والتغييرات والالام والاسقام وتجرع
كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا
بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير وقد مرض صلى الله عليه وسلم
واشتكى عليه السلام واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله
الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا

ذباب عينيه وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبيا ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قميئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطائف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على ايديهم ضلال النصارى بعيسى بن مريم وليكون في محنهم تسلية لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارى والتغيرات المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني ادم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملا الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الافات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شي باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الاثار انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع

ضعف

ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو صلى الله عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما ناخذ بعد في بيانه

فصل فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابي بقراءتي عليه نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن خلف نا محمد بن احمد نا محمد بن يوسف نا البخاري نا عبيد بن اسمعيل نا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشي وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان يخيل اليه انه كان ياتي النسا ولا ياتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي عليه السلام في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي صلعم عما يدخل في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما ما ورد انه كان يخيل اليه انه فعل الشي ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شي من تبليغه او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للافات كسائر البشر فغير بعيد انه يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الاخر من قوله حتى يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن

وقد قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في
ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله وإنما كانت خواطر وتخيلات
وقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء أنه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد
صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد وأقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لأئمتنا
من الأجوبة عن هذا الحديث مع ما أوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم
وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلى وأبعد من مطاعن ذوي الأضاليل
يستفاد من نفس الحديث وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب
وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلعم أن ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا
فاستخرجه من البئر وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر قال حبس رسول الله صلعم
عن عائشة سنة فبينا هو نائم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر
عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
عائشة خاصة سنة حتى أنكر بصره فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات
أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه
إنما أثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه ويكون معنى قوله يخيل إليه أنه
يأتي أهله ولا يأتيهن أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا دنا منهن
أصابته أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري من أخذ واعترض ولعله لمثل هذا
أشار سفيان بقوله وهذا أشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى أنه
ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى شخصا
من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء
طرأ عليه في ميزه وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد

المعترض

المعترض أنسا **فصل** هذه حاله في جسمه فأما أحواله في أمور الدنيا فنحن نسبرها
على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل أما العقد منها فقد يعتقد في أمور
الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه أو يكون منه على شك أو ظن
بخلاف أمور الشرع كما حدثنا أبو بحر سفيان بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة
قالوا ثنا أبو العباس أحمد بن عمر ثنا أبو العباس الرازي ثنا أبو أحمد بن عمرويه ثنا ابن
سفين ثنا مسلم ثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري وأحمد المعقري قالوا
ثنا النضر بن محمد حدثني عكرمة ثنا أبو النجاشي ثنا رافع بن خديج قال قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون
قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك
له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما
أنا بشر وفي رواية أنس أنتم أعلم بأمر دنياكم وفي حديث آخر إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني
بالظن وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطئ
وأصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها
لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن إسحق أنه
صلى الله عليه وسلم لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر أهذا
منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو
الرأي والمكيدة قال فإنه ليس بمنزل انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم
نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال أشرت بالرأي وفعل ما قاله
وقد قال له الله وشاورهم في الأمر وأراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار
الأنصار فلما أخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل

فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه اذ ليس في
هذا كله نقيصة ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه
وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن
الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن
هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة
الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه صلى
الله عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو
معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب **فصل** واما
ما يعتقد في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل
وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر وانكم
تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو
مما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة
من النار نا الفقيه ابو الوليد رحمه الله نا الحسين بن محمد الحافظ نا ابو عمر نا ابو محمد
نا ابو بكر نا ابو داود نا محمد بن كثير نا سفين عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة
عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري
عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه
صلى الله عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد
ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في
ذلك فانه لو شاء تعالى لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم
بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله
امته باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان

مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك
ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك
القضية لحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا
ما لا تعلمه الامة فاجرى الله تعالى احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر
ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم
ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتأويل
المتأول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر
فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر
عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب
فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح
هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته **فصل** واما اقواله الدنيوية من اخباره
عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه
في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضا او غضب وانه
معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب
فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية
لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي
من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا في تحببهم
ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمراة التي سالته عن زوجها
اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض
وقد قال صلى الله عليه وسلم اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما
عليه السلام بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه

ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال صلى الله
عليه وسلم ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان تكون له خيانة قلب فان
قلت فما معنى اذا قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه
امسك عليك زوجك الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن هذا الظاهر وان يأمر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من
المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان
اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك
زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله
مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري
قال نزل جبريل على النبي عليه السلام يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى
في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا وكان امر الله مفعولا
اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل
ان الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه لم يكن
عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل مثال فعله لمن قبله
من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم
ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم
عندما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد
عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي
لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء قال القشيري وهذا اقدام عظيم
من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته

وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام وهو
زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة
حرمة التبني وابطال سنته كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي
فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله
اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن
بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس
يتزوج امرأة ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته قال تعالى لكيلا يكون
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة
وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه رآها فجاءة واستحسنها ومثل هذا
لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم قمع
نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل
والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه
واستحسنه القاضي القشيري وان خشيته صلى الله عليه وسلم كانت من ارجاف المنافقين
واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل
الابناء كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عتبه
على مراعاة رضا ازواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك
قوله هاهنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعائشة لو كتم
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه

فصل فان قلت قد تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم في اقواله في جميع احواله
وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح

ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته صلى الله عليه وسلم الذي حدثنا به
القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله نا القاضي ابو الوليد نا ابو ذر نا ابو محمد وابو
الهيثم وابو اسحق قالوا نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا علي بن عبد الله نا
عبد الرزاق نا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما احتضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا
فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي
بعض طرقه ان النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر ويروى
اهجرا وفيه فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا
كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف اهل
البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال ائمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه
وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي
ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن
في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان او اختلال في كلام
وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر اذ معناه هذى يقال هجر هجرا
اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر
على طريق الانكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري
من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن
عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه

عن مسلم في حديث سفين وعن غيره وقد يحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف
الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل قول القائل هجر او اهجر دهشة من قائل
ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه
وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط
هذا القائل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه
الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو
هذا واما على رواية اهجرا وهي رواية ابي اسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير
عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم
ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه
هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا
الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم صلى الله عليه وسلم ان يأتوه بالكتاب فقال بعض
السلف بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها
بقراين فلعل قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم ما فهموا انه لم تكن
منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا
كف عنه اذ لم تكن عزمة ولما راوه من صواب رأي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع
عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان
تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل
خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة وراى ان
الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب
والمخطئ ماجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتاسيس الملة وان الله قال اليوم اكملت لكم
دينكم وقوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب

التجرة على من نازعه لا على أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل إن عمر خشي تطرق
المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وأن يتقولوا في
ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقالت طائفة أخرى
إن معنى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب
منه لا أنه ابتداء بالأمر به بل اقتضاه منه بعض أصحابه فأجاب رغبتهم وكره ذلك
غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي
انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان الأمر فينا علمناه وكراهة
علي هذا وقوله والله لا أفعل الحديث واستدل بقوله دعوني فإن الذي
أنا فيه أي الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم وكتاب الله وأن تدعوني
مما طلبتم وذكر أن الذي طلب كتابة أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك

فصل

فإن قيل فما وجه حديثه أيضا الذي حدثناه الفقيه أبو محمد الخشني بقراءتي عليه
نا أبو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا أبو أحمد الجلودي نا إبراهيم بن سفين نا
مسلم بن الحجاج نا قتيبة نا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم مولى النصريين قال
سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إنما محمد بشر
يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته
أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة وفي رواية
فأيما أحد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها بأهل وفي رواية فأيما رجل من المسلمين
سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكوة وصلوة ورحمة وكيف يصح أن يلعن النبي
صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد
أو يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك
أن قوله أولا ليس لها بأهل أي عندك يا رب في باطن أمره فإن حكمه صلى الله عليه
وسلم

وسلم على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده أو أدبه
بسبه أو لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا صلى الله عليه وسلم لشفقته
على أمته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره أن يتقبل فيمن دعا
عليه دعوته أن يجعل دعاءه عليه له رحمة فهو معنى قوله ليس لها بأهل لا أنه صلى
الله عليه وسلم يحمله الغضب ويستفزه الضجر لأن يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم
وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله أغضب كما يغضب البشر أن الغضب حمله على ما لا يجب
بل يجوز أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه أو سبه وأنه مما
كان يحتمل ويجوز عفوه عنه أو كان مما خير بين المعاقبة فيه والعفو عنه وقد يحمل
أنه خرج مخرج الإشفاق وتعليم أمته الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد
من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما
جرت به عادة العرب وليس المراد بها الإجابة كقوله تربت يمينك ولا أشبع الله بطنك
وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته في غير حديث أنه صلى الله عليه وسلم
لم يكن فحاشا وقال أنس لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لأحدنا عند المعتبة
ما له ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم أشفق صلى الله عليه وسلم
من موافقة أمثالها إجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث أن يجعل ذلك للمقول له زكاة
ورحمة وقربة وقد يكون ذلك إشفاقا على المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه
من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله
على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده أو سبه على حق وبوجه
صحيح أن يجعل ذلك له كفارة لما أصاب وتمحية لما اجترم وأن تكون عقوبته له في الدنيا
سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو له كفارة فإن
قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه مع الأنصاري في شراج

الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك يا رسول
الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم
احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم
منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب ولكنه صلى الله عليه
وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما
لم يرض بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه
ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم
وذكر في اخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ حقه للزبير
وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم
في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان
فانه في حكمه في حال الغضب والرضا سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله
عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث
في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه
ان عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي حين طلب صلى الله عليه وسلم
الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم
ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يابى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه صلى الله
عليه وسلم لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه صلى الله عليه وسلم
اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفى عنه واما حديث سواد بن عمرو قال اتيت

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب
في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه انما ضربه
صلى الله عليه وسلم لمنكر راه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه
فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه **فصل** واما افعاله
صلى الله عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه
ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا
فيها على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية
مجرى العبادات والقرب على ما بيناه اذ كان صلى الله عليه وسلم لا ياخذ منها لنفسه الا
ضرورته وما يقيم به رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته
ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه او بر
يوسعه وكلام حسن يقوله او يسمعه او تالف شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل
هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية
بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره
الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع
واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك
يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان كان قد
يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى غيره خيرا منه وقد يفعل هذا
في الامور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه
التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية
للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث
وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا

من نفار قلوبهم لذلك وتخريب ما تقدم عداوتهم للدين وأهله فقال لعائشة في الحديث
الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم وبفعل الفعل ثم
يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من أدنى مياه بدر إلى أقربها للعدو
من قريش وكقوله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط
وجهه للكافر والعدو رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول إن من شرار الناس
من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب إليه شريعته ودين ربه ويتولى
في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت في ملاوته حتى لا يبدو منه شيء من أطرافه
حتى كأن على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث أولهم ويتعجب مما
يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب
ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي أن يكون له خائنة الأعين فإن
قلت فما معنى قوله لعائشة في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل ألان له القول
وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال إن شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز أن يظهر له
خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب أن فعله صلى الله عليه وسلم كان استيلافا
لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن إيمانه ويدخل في الإسلام بسببه أتباعه ويراه مثله
فينجذب بذلك إلى الإسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا
إلى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم بأموال الله العريضة فكيف بالكلمة
اللينة قال صفوان لقد أعطاني وهو أبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى صار أحب الخلق
إلي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم
ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا
إذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الأحيان
كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فإن قيل فما معنى المعضل

الوارد

الوارد في حديث بريرة من قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد أخبرته أن موالي
بريرة أبوا بيعها إلا أن يكون لهم الولاء فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال أقوام يشترطون
شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى
الله عليه وسلم قد أمرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله أعلم لما باعوها من
عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم أبطله صلى الله عليه وسلم وهو قد
حرم الغش والخديعة فاعلم أكرمك الله أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع
في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد أنكر قوم
هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء إذ ليست في أكثر طرق الحديث ومع ثباتها
فلا اعتراض بها إذ تقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى أولئك لهم اللعنة وقال
وإن أسأتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم
ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لأنفسهم قبل ذلك ووجه ثان أن قوله صلى الله
عليه وسلم اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الأمر لكن على معنى التسوية والإعلام
بأن شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل أن الولاء
لمن أعتق فكأنه قال اشترطي أو لا تشترطي فإنه شرط غير نافع وإلى هذا ذهب
الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على
علمهم به قبل هذا الوجه الثالث أن معنى قوله اشترطي لهم الولاء أي أظهري لهم حكمه
وبيني عندهم سنته أن الولاء إنما هو لمن أعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم
مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه فإن قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام
بأخيه إذ جعل السقاية في رحله وأخذه باسم سرقتها وما جرى على إخوته في ذلك وقوله
إنكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم أكرمك الله أن الآية تدل على أن فعل يوسف كان

عن امر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا
ان يشاء الله الاية فاذا كان ذلك فلو اعترض به كان فيه ما فيه وايضا فان
يوسف كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا
من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك
واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل
شبهة ولعل قائله ان يحسن له التاويل كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك
وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل مع يوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان
يقول الانبياء ما لم ياتي انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن
زلات غيرهم **فصل** فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى غيره
من الانبياء على جميعهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا
به كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابرهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله
عليهم وهم خيرته من خلقه واحباوه واصفياوه فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال
الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده
كما قال لهم لينظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا وليعلم الذين امنوا
منكم ويعلم الصابرين ونعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم فامتحانه
اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات
الصبر والرضا والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعا والتضرع منهم
وتاكيدا لبصايرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتسلوا في المحن
بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحوا لهنات فرطت منهم وغفلات سلفت لهم
ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا
القاضي ابو علي الحافظ نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي نا

ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى الترمذي نا قتيبة نا حماد بن زيد عن عاصم
بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء
قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى
يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكاين من نبي قتل معه ربيون
كثير الايات الثلاث وعن ابي هريرة قال ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده
وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم قال اذا
اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه
بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع
تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاوه اشد كي
يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمن انه قال يا بني الذهب والفضة
يختبران بالنار والمومن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه
التفاته في صلوته اليه ويوسف نايم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل
حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز
لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف
الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر
مناديا ينادي على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد عند ال يعقوب وعوقب يوسف
بالمحنة التي نص الله عليها وروي عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل
قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا عليه الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه
فعاقبه الله ببلائه ومحنة سليمان لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره
او للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه فايدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم
قالت عايشة ما رايت الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن

عبد الله قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت
انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل ~~ذلك كذلك~~ اني اوعك كما يوعك رجلان منكم
قلت ذلك لان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد
ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق ان اضع يدي
عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا
البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى تقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر وان كانوا
ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم
قال ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا
ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به
ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروي هذا عن عائشة وابي
ومجاهد وقال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه
وقال في رواية عائشة ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه
حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المؤمن من وصب
ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها
من خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه
كما تحت ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب
الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى انفسهم فيسهل خروجها عند
قبضهم ويخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس
لذلك خلاف موت الفجاة واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين
والصعوبة وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها
الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفاها فاذا سكنت اعتدلت

وكذلك

وكذلك المؤمن يكفا بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها
الله معناه ان المؤمن مرزا مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار
الله مطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها
للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله عن المؤمن رياح
البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه
ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل يصعب
عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدمه من
الالام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي
المرض او شدته والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتنع بصحة جسمه كالارزة الصماء
حتى اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته
اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب
الاخرة اشد كما انجعاف الارزة وكما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة الاية ففجا جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة
وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجاة ومنه في حديث ابن
ابراهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي الغضب يريد موت الفجاة وحكمة ثالثة ان الامراض
نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم تعاهدها
له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثير الانكاد ويكون ~~الحقوق~~ قلبه معلقا
بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق
الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه
وسلم المغفور له ما تقدم وما تاخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق
في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل

[margin] فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون [illegible] كذلك [illegible] والله اعلم

وحديث الوفاة وأوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالأنصار عيبته
ودعا إلى كتاب لئلا تضل أمته بعده إما في النص على الخلافة أو الله أعلم
بمراده ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين
وأولياء المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لإملاء الله لهم ليزدادوا إثما
وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم
يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم في رجل مات فجاءة سبحان الله كأنه على غضب المحروم
من حرم وصيته وقال موت الفجاءة راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر
أو الفاجر وذلك لأن الموت يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر
لحلوله فهان أمره عليه كيف ما جاء وأفضى إلى راحته من نصب الدنيا وأذاها
كما قال صلى الله عليه وسلم مستريح ومستراح منه وتأتي الكافر والفاجر
منيته على غير استعداد ولا أهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة
فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت أشد شيء عليه
وفراق الدنيا أفظع أمر صدمه وأكره شيء له وإلى هذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه القسم الرابع في تصرف
وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه عليه السلام قال القاضي أبو الفضل رضي الله
عنه قد تقدم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله
عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم وإكرام وبحسب هذا حرم الله أذاه في
كتابه وأجمعت الأمة على قتل متنقصه وسابه من المسلمين قال الله تعالى إن
الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا
وقال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وقال الله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا

رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما
وقال في تحريم التعريض له يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
واسمعوا الآية وذلك أن اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد أي ارعنا سمعك
واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم
وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق إلى سبه والاستهزاء
به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لأنها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل
بل لما فيها من قلة الأدب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لأنها في لغة
الأنصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك إذ مضمنه أنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم
وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال وهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن
التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن أذاه إذ كان
صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا أبا القاسم فقال لم أعنك إنما دعوت
هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى بإجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك
المنافقون والمستهزئون ذريعة إلى أذاه والإزراء به فينادونه فإذا التفت قالوا
إنما أردنا هذا لسواه تعنيتا واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى صلى الله
عليه وسلم حمى أذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته
وأجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها
وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب إن شاء الله وأن ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره
وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لأنه قد كان الله منع
من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وإنما كان
المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعونه بكنيته أبا القاسم بعضهم
في بعض الأحوال وقد روى أنس عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي باسمه

وتنزيهه عن ذلك اذ لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي ان عمر كتب
الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري والصواب
جواز هذا كله بعده صلى الله عليه وسلم بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة
منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك
لعلي رضي الله عنه وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد
فصلت الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمنا الباب الاول

في بيان ما هو في حقه صلى الله عليه وسلم سب او نقص من تعريض او نص
اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او
الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء
على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه او العيب له
فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب
على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة
له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام
وهجر ومنكر من القول وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض
العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى
من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام
اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس
والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل وهو
مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال
ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة
وروى مثله الوليد بن مسلم عن ملك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى
هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد او كفر كما سنبينه في الباب
الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار
وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية
وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف
ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم
المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل ومن
شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل
خالد بن الوليد ملك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم قال
ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال
ابن القاسم عن ملك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن ملك
في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب
قال ابن القاسم في العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة
القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه
حيا او قتله ومن رواية ابي مصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب
رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا
يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب ملك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم
او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر
ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي
صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن ملك

وروى ابن وهب عن مالك من قال إن رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي
صلى الله عليه وسلم وسخ أراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا أجمع العلماء
على أن من دعا على نبي من الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه أنه يقتل بلا استتابة
وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الجمال يتيم أبي طالب
بالقتل وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بقتل رجل سمع قوماً يتذاكرون صفة النبي صلى الله
عليه وسلم إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي
في صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج
من قلب سليم الإيمان وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله
عليه وسلم كان أسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول
الله كذا وذكر كلاماً قبيحاً فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال أشد من كلامه الأول ثم
قال إنما أردت برسول الله العقرب فقال ابن أبي سليمان للذي سأله اشهد عليه وأنا
شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لأن ادعاء التأويل في لفظ صراح
لا يقبل لأنه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب
إباحة دمه وأفتى أبو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل أد واشك إلى النبي صلى
الله عليه وسلم وقال إن سألت أو جهلت فقد جهل وسأل النبي صلى الله عليه وسلم
بالقتل وأفتى فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به
من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم وختن
حيدرة وزعمه أن زهده لم يكن قصداً ولو قدر على الطيبات أكلها إلى أشباه لهذا وأفتى
فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري وكان شاعراً متفنناً في كثير
من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي أبي العباس ابن طالب للمناظرة فرفعت عليه
أمور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبينا صلى الله عليه وسلم

فأحضر

فأحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وأمر بقتله وصلبه فطعن بالسكين
وصلب منكساً ثم أنزل وأحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين أنه لما رفعت
خشبته وزالت عنها الأيدي استدارت وحولته عن القبلة فكان آية للجميع وكبر
الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذكر حديثاً عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم
وقال القاضي أبو عبد الله بن المرابط من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم
هزم يستتاب فإن تاب وإلا قتل لأنه تنقص إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته إذ هو على
بصيرة من أمره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك وأصحابه
أن من قال فيه صلى الله عليه وسلم ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن
عتاب الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبي صلى الله عليه وسلم بأذى أو نقص
معرضاً أو مصرحاً وإن قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سباً وتنقصاً يجب
قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وإن اختلفوا في حكم قتله على ما أشرنا إليه
ونبينه بعد ولذلك أقول حكم من غمصه أو عيره برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر
أو ما أصابه من جرح أو هزيمة لبعض جيوشه أو أذى من عدوه أو من شدة زمنه أو بالميل
إلى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في
ذلك ويأتي ما يدل عليه فصل في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه عليه
السلام فمن القرآن لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى أذاه بأذاه ولا خلاف
في قتل من سب الله وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال إن الذين
يؤذون الله ورسوله الآية وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال
الله تعالى ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم
ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن وقال الله تعالى قتل الخراصون

وقاتلهم الله انى يوفكون اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المومنين وفي اذى
المومنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم موذى الله ونبيه اشد
من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه
فقد ناقض هذا وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا تحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعا
واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال
تعا ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال والذين يوذون رسول
الله لهم عذاب اليم وقال تعالى ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله
قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه
وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله محمد بن غلبون
عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة نا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيوة نا محمد بن نوح
نا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة نا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن
ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث
الصحيح امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف
فانه يوذي الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين
وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع
قال البراء وكان يوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره
يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم
وفي حديث اخر ان رجلا كان يسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي فقال

خالد

خالد انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقبل جماعة ممن كان
يوذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل
جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد
روى البزار عن ابن عباس ان عقبة ابن ابي معيط نادى يا معاشر قريش ما لي اقتل
من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه
رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير وروى ايضا
ان امراة كانت تسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي فخرج اليها خالد بن
الوليد فقتلها وروي ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير
اليه ليقتلاه وروى ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان امراة هناك في
الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر
ذلك فقال له لولا ما فعلت بها لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود
وعن ابن عباس قال هجت امراة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها
فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى
الله عليه وسلم فيزجرها ولا تنزجر فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه
وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث
ابي برزة الاسلمي قال كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق فغضب على رجل من المسلمين
وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي

اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني
اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على
قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن
ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر
رضي الله عنه فكتب عمر اليه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجلا
سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسال الرشيد
مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه
بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد نبيها من شتم الانبياء
قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي ابو
الفضل كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي
اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر
وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشهر بعلم او من لا يوثق
بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو
سب ام غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقله مالك على اصله والا
فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من
سبه او تنقصه صلى الله عليه وسلم فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته
وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك
والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول الاخر انه دليل على الكفر
فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا
مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم

فاعترافه

فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا
كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد
حقا لنحن شر من الحمير وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا كقول القائل سمن
كلبك ياكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان قائل
مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال
صلى الله عليه وسلم من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في
الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه صلى الله
عليه وسلم القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره فصل فان قلت فلم
لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء
عليه ولا قتل الاخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تاذى النبي
صلى الله عليه وسلم من ذلك وقد قال اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل
المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستالف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه
ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم
تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث
الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين
ويجمل صحبتهم ويغضي عليهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر
لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله فقال تعالى ولا تزال تطلع
على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال ادفع
بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس

للتاليف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله على الدين كله
قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن
امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم اوغلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط
في جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة
وكذلك نذر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن
آذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه صلى الله عليه
وسلم على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله
ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر صلى الله عليه
وسلم على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم
باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم
للدين وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض
ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده صلى الله عليه وسلم من
اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي
اوعبد او امراة والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام
وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف تنبهت عليه عايشة ولو كان صرح
بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم
في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم
احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال
اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يات انه قامت بينة

على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام
والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام
لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق
من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى
الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول
ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول
في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة
وطلب اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم
وهذا بخلاف اجرا الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها
واستوا الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي
صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله
تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك
بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الاية قال
معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى
يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم نسخها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا
لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه
وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وانما راها من وجه الغلط في الراي وامور الدنيا والاجتهاد
في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا وراى انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر عليه
فلذلك لم يعاقبه ولذلك يقال في اليهود اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا
دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسمون

دينكم والسام والسآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب
ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب إذا عرض الذمي أو غيره بسب النبي صلى
الله عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وإنما هو تعريض بالأذى
قال القاضي أبو الفضل قد قدمنا أن الأذى والسب في حقه صلى الله عليه وسلم سواء
وقال القاضي أبو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر
في الحديث هل كان هذا اليهودي من أهل العهد والذمة أو الحرب ولا يترك موجب
الأدلة للأمر المحتمل والأولى في ذلك كله والأظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف
والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب
من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن الدو وقررناه
قبل وقد صبر لهم صلى الله عليه وسلم على سحره وسمه وهو من سبه إلى أن نصره الله
عليهم وأذن له في قتل من حينه منهم وأنزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب
وكتب على من شاء منهم الجلاء وأخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين
وكاشفهم بالسب فقال يا إخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم
من جوارهم فإن قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة أنه عليه السلام ما انتقم لنفسه
في شيء يؤتى إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم أن هذا لا يقتضي أنه لم
ينتقم ممن سبه أو آذاه وكذبه فإن هذه من حرمات الله التي انتقم لها وإنما يكون ما لا ينتقم
له فيما تعلق بسوء أدب أو معاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله
به أذاه لكن مما جبلت عليه الأعراب من الجفاء والجهل أو جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ
الأعرابي بإزاره حتى أثر في عنقه ورفع صوت الآخر عنده وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه
التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه وأشباه هذا مما يحسن الصفح عنه
أو يكون هذا مما آذاه به كافر وجاء بعد ذلك إسلامه لعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن

الأعرابي الذي أراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه
من أذى أهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف غيرهم
بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق فصل تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه
والإزراء به وغمصه بأي وجه كان من ممكن أو محال فهذا وجه بين لا إشكال فيه
الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو أن يكون القائل لما قال في جهته صلى الله
عليه وسلم غير قاصد للسب والإزراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته صلى الله عليه
وسلم بكلمة الكفر من لعنه أو سبه أو تكذيبه أو إضافة ما لا يجوز عليه أو نفي ما يجب له
مما هو في حقه صلى الله عليه وسلم نقيصة مثل أن ينسب إليه إتيان كبيرة أو مداهنة
في تبليغ الرسالة أو في حكم بين الناس أو يغض من مرتبته أو شرف نسبه أو وفور علمه
أو زهده أو يكذب بما اشتهر من أمور أخبر بها صلى الله عليه وسلم وتواتر الخبر بها عنه
عن قصد لرد خبره أو يأتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته
وإن ظهر بدليل حاله أنه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه إما لجهالة حملته على ما قاله أو لضجر
أو سكر اضطره إليه أو قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم
هذا الوجه حكم الوجه الأول القتل دون تلعثم إذ لا يعذر أحد في الكفر ولا
بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه إذ كان عقله في فطرته سليما إلا من أكره
وقلبه مطمئن بالإيمان وبهذا أفتى الأندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب
النبي صلى الله عليه وسلم في أيدي العدو يقتل إلا أن يعلم تنصره أو إكراهه وعن
أبي محمد بن أبي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وأفتى أبو الحسن القابسي
فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لأنه يظن به أنه يعتقد هذا
ويفعله في صحوه وأيضا فإنه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود

لانه ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما
يتكون منه فهو كالعامد بما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق
والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم
وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر
كانت حينئذ غير محرمة فلم تكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه
كما يحدث من النوم وشرب الدواء المامون **فصل** الوجه الثالث ان يقصد الى
تكذيبه فيما قاله واتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله
ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا
بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الاخر لا يسقط
القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من
كذب او غيره وان كان مستسرا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة
عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد
حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل
او لم ينزل عليه قران وانما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه
وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد يستتاب
وكذلك قال فيمن تنبا وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون قال ابن القاسم دعا الى ذلك
سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال
اشهب في يهودي تنبا او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب
ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في
قوله لا نبي بعدي مفتر على الله في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون
من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من

كذب

كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان
صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه اسود قتل لم يكن عليه السلام
باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان
بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه
كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة **فصل**
الوجه الرابع ان ياتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى
الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فهاهنا
متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه
وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرا الحد بالشبهة
لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم
النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما
وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم وقال ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج لا
يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى
الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى
الله عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة
تدل على ان مراده الناس غيرها ولا لاجل قول الاخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن
يصلي عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة
صاحبيه وذهب الحرث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن
القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده

بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده
هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف
قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان
فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين
وما ترد اليه التاويلات لا بد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكى عن ابي محمد بن ابي
زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر
انه لم يرد الانبياء وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان ولذلك
افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع
حاضر لباد ولعن من جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب
الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من
الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء
الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير وابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك
انه يدخل في مثل هذا العدد من آبائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا العدد
منقطع الى آدم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه
ولو علم انه قصد سب من في آبائه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو
قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية
النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية
النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في الم[illegible] يقتضي تخصيص بعض آبائه واخراج
النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد
عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الآخر الانبياء يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو
اسحق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن

القتل

القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة
ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم
استحلفه بعد على تكذيب ما شهد عليه به اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم
اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه
محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك
وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب
بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه فصل الوجه
الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او
يستشهد ببعض احواله عليه السلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة
لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التاسي
وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه
صلى الله عليه وسلم او قصد الهزل والتنذير بقوله كقول القائل ان قيل في السوء فقد
قيل في النبي صلى الله عليه وسلم وان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا
او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله او قد صبرت كما صبر اولو العزم من
الرسل او لصبر ايوب او قد صبر نبي الله صلى الله عليه وسلم من عداه وحلم على اكثر مما
صبرت وكقول المتنبي

انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري

كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير

على ان اخر هذا البيت شديد وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل حال غيره عليه وكذلك
قوله لولا انقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله في

الفضل الا انه لم يأته برسالة جبريل فصدر البيت الثاني من هذا الفصل لتشبيهه
غير النبي صلى الله عليه وسلم في فضله بالنبي صلى الله عليه وسلم والعجز محتمل لوجهين
احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه
قول الاخر وإذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي جبرين وقول الاخر من
اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان وكقول
حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي بكر
بن زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضا وحسان حسان وانت محمد الى امثال
هذا وانما كثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل كثير من
الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما
فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم
لا سيما الشعراء واشدهم تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري
بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا
الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت
الى الملائكة والانبياء نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها الازراء والغض
فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة
حتى شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب
مجلسه او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره
وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل
الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف
عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون
ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله فان يك باقي

سحر فرعون فيكم فان عصى موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخناء انت
المستهزئ بعصى موسى وامر باخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتيبي ان مما
اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله
عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد
انكروا ايضا عليه قوله كيف لا يدنيك من امل من رسول الله من نفره لان
حق الرسول صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا
يضاف بالحكم في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا امام
مذهبنا ملك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل
عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ملك
قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا
ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد
العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي صلى الله عليه
وسلم كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان
يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا
له وتعظيما كما امرنا الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل
عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر
وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه حين راه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة
خلقه فان كان هذا فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة
وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن
نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عند ما انكر
من عبوس الاخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم

لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كأنه
لله يغضب غضب مالك فيكون أخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو
كان أثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان أشد وهو يعاقب المعاقبة
الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال أبو الحسن أيضا في شاب
معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فإنك أمي فقال الشاب أليس
كان النبي أميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر
الندم عليه فقال أبو الحسن أما إطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة
النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي أميا آية له وكون هذا أميا نقيصة فيه
وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه إذا استغفر وتاب
واعترف ولجأ إلى الله فيترك لأن قوله لا ينتهي إلى حد القتل وما طريقه الأدب فطوع
فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت أيضا مسألة استفتى فيها بعض قضاة
الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له إنما
تريد نقصي بقولك وأنا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم
فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الأندلس أفتى بقتله

فصل الوجه السادس أن يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه فهذا
ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على أربعة وجوه
الوجوب والندب والكراهة والتحريم فإن كان أخبر به على وجه الشهادة والتعريف
بقائله والإنكار والإعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله
وكذلك إن حكاه في كتاب أو في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا
منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فإن كان القائل لذلك
ممن تصدى لأن يؤخذ عنه العلم أو رواية الحديث أو يقطع بحكمه أو شهادته أو فتياه في

الحقوق

الحقوق وجب على سامعه الإشارة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه
بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من أئمة المسلمين إنكاره وبيان كفره وفساد قوله
لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك إن كان ممن يعظ العامة
أو يؤدب الصبيان فإن من هذه سريرته لا يؤمن على إلقاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في
هؤلاء الإيجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وإن لم يكن القائل بهذه
السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن
الأذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه إذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت
القضية وبان به الأمر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة وعضد
التحذير منه وقد أجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل
أبو محمد بن أبي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى أيسعه أن لا يؤدي شهادته
قال إن رجا هذا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك إن علم أن الحاكم لا يرى القتل بما شهد
به ويرى الاستتابة والأدب فليشهد ويلزمه ذلك وأما الإباحة لحكاية قوله لغير هذين
المقصدين فلا أرى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم
والتمضمض بسوء ذكره لأحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح وأما للأغراض
المتقدمة فمتردد بين الإيجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى
رسله في كتابه على وجه الإنكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم
بما تلاه الله علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم
الصحيحة على الوجوه المتقدمة وأجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على حكايات مقالات
الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وإن كان
ورد لأحمد بن حنبل إنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد فقد صنع أحمد مثله في رده على
الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة الحكاية عنها فأما ذكرها على غير هذا

حكاية سبه والازراء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس
ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال
وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من
قائله الحاكي له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم يكن عادته او لم يكن الكلام من
البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة
اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان
الادب اشد وقد حكي ان رجلا سال مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر
فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على
نظر من الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه
ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف
له او التحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه
يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال
ابو عبيد القاسم بن سلام في من حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر
وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله
عليه وسلم وكتابه وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا المتقين
المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا اشيا
ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قائله واخذه
المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى قد تحرى فيما اضطر الى
الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء
لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض
سيد البشر صلى الله عليه وسلم فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي

صلى الله عليه وسلم او يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية به ويمكن
اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه
واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة
عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة
للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا
نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام
فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهمون مقاصده ويحققون فوائده
ويجنب ذلك من عساه لا يفقه او يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة
يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معقولهن وادراكهن فقد قال صلى الله
عليه وسلم مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد
رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن
ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب
نعم للانبياء في ذلك حكمة بالغة وتدريج لله تعالى لهم الى كرامته وتدريب لرعايتها لسياسة
اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله
تعالى يتمه وعيلته صلى الله عليه وسلم على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر
الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدئه والتعجب من منح الله قبله
وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله
تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم
وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره
وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع
متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولذلك قال هرقل

خ ينهم

خ فتنته

خ معرفتهم

حين سأل أبا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل
يطلب ملك أبيه وإذا اليتم من صفته وأحد علاماته في الكتب المتقدمة وأخبار
الأمم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب أرميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب
وبحيرا لأبي طالب وكذلك إذا وصف بأنه أمي كما وصفه الله تعالى به فهي مدحة
له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته إذ معجزته العظمى من القرآن العظيم إنما هي متعلقة
بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه
في القسم الأول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى
العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة إذ المطلوب من الكتابة والقراءة
المعرفة وإنما هي آلة لها وواسطة موصلة إليها غير مرادة في نفسها فإذا حصلت الثمرة
والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والأمية في غيره منقصة لأنها سبب الجهالة
وعنوان الغباوة فسبحان من باين أمره من أمر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته
فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه وإخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه
وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا إلى سائر ما روي
من أخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته
نفسه في أموره وخدمته بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها
لسرعة فناء أمورها وتقلب أحوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن أورد
شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان حسنا ومن أورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك
سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من أخباره وأخبار سائر
الأنبياء عليهم السلام في الأحاديث مما في ظاهره إشكال يقتضي أمورا لا تليق بهم بحال وتحتاج
إلى تأويل وتردد احتمال فلا يجب أن يتحدث منها إلا بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت
ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه
والمشكلة

والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس إلى التحدث بمثل هذا فقيل له إن ابن عجلان يحدث
بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه
على طيها فأكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة أنهم كانوا
يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم أوردها على قوم عرب
يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه
وإيجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية فلا يكاد يفهم من
مقاصد العرب إلا نصها وصريحها ولا يتحقق إشاراتها إلى غرض الإيجاز ووحيها وتبليغها
وتلويحها فتفرقوا في تأويلها شذر مذر فمنهم من آمن به ومنهم من كفر فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث
فواجب أن لا يذكر منها شيء في حق الله ولا حق أنبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف
الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها إلا أن تذكر على وجه التعريف
بأنها ضعيفة المعنى واهية الإسناد وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك تكلفه في مشكله
الكلام على أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها أو منقولة عن أهل الكتاب الذين يلبسون الحق
بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها إذ المقصود بالكلام على مشكل
ما فيها إزالة اللبس بها واجتثاثها من أصلها وطرحها أكشف للبس وأشفى للنفس

فصل

ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه
في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم أن يلتزم في كلامه عند ذكره صلى الله عليه وسلم
وذكر تلك الأحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه
علامات الأدب عند ذكره فإذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الإشفاق والارتماض
والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو أمكنته وإذا أخذ
في أبواب العصمة وتكلم على مجاري أعماله وأقواله صلى الله عليه وسلم تحرى أحسن اللفظ
وأدب العبارة ما أمكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب

والمعصية فإذا تكلم في الأقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والإخبار بخلاف
ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة وإذا تكلم
على العلم قال هل يجوز ألا يعلم إلا ما علم وهل يمكن أن لا يكون عنده علم من بعض الأشياء حتى
يوحى إليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته وإذا تكلم في الأفعال قال هل يجوز منه
المخالفة في بعض الأوامر والنواهي ومواقعة الصغائر فهو أولى وآدب من قوله
هل يجوز أن يعصي أو يذنب أو يفعل كذا وكذا من أنواع المعاصي فهذا من حق توقيره
صلى الله عليه وسلم وما يجب له من تعزير وإعظام وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا
فقبح منه ولم أستصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله لأجل ترك تحفظه
في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله وإذا كان مثل هذا بين الناس
مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه صلى الله عليه وسلم
أوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح الشيء أو تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الأمر أو يهونه
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا فأما ما أورده على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج
في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا إتيان الكبائر بوجه
ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره
مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره
كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن
حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته
إعظاما لربه وإجلالا له وإشفاقا من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني

في حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته
قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه صلى الله عليه وسلم وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل
ذلك وقائله أو تخيير الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجة عليه وبعد فاعلم
أن

أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا إن أظهر التوبة
منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه
قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت
توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله أو جاء تائبا من قبل نفسه لأنه حد
وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ أبو الحسن القابسي رحمه الله إذا أقر
بالسب وتاب منه وأظهر التوبة قتل بالسب لأنه هو حده وقال أبو محمد بن أبي زيد
في مثله وأما ما بينه وبين الله فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل ولذلك قد اختلف في الزنديق
إذا جاء تائبا فحكى القاضي أبو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال
أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا أنه خشي الظهور عليه فبادر
إلى ذلك ومنهم من قال أقبل توبته لأني أستدل على صحتها بمجيئه فكأننا وقفنا على باطنه بخلاف
من أسرته البينة قال القاضي أبو الفضل وهذا قول أصبغ ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم
أقوى لا يتصور فيها الخلاف على الأصل المتقدم لأنه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته
بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين والزنديق إذا تاب بعد القدرة عليه
فعند مالك والليث وإسحاق وأحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن أبي
حنيفة وأبي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يستتاب قال
محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه صلى الله عليه وسلم لأنه لم ينتقل من دين إلى
غيره وإنما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لأحد كالزنديق لأنه لم ينتقل من ظاهر إلى
ظاهر وقال القاضي أبو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله
تعالى على مشهور القول باستتابته أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة إلا
من أكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس

ملحق المعرة بجنبه وليس سبه صلى الله عليه وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد
معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله
عليه وسلم تعلق فيه حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان
توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط
ذنوبه من زنى وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره
ولكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال
القاضي ابو الفضل يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى
الازراء والاستخفاف ولان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم
بسريرته وبقي حكم السب عليه وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا
وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك
ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا بانه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب
نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر
لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه
حدا وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به واظهاره الاقلاع
والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره
ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر
او تاب فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه
بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع
عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك
كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام
الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلوة واما من علم انه

انه سبه

سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا
كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله
بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره
وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله
هتك حرمة الله وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات
خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة
وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله عز وجل **فصل** اذا قلنا
بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف
السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب
وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره
واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن ابي رباح والنخعي والثوري
ومالك ~~والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا~~ واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق واصحاب
الراي وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة
وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر
قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا تدرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه
وحكي ايضا عن عطاء انه ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامي
وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروي عن علي لا تقتل المرتدة وتسترق
وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة وبه قال ابو حنيفة
قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما مدتها فمذهب الجمهور وروي
عن عمر انه يستتاب ثلثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي
وقول احمد واسحق واستحسنه مالك وقال لا ياتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس

قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستتابة ثلاثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به
في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل
وقال ابو الحسن بن القصار في تاخيره ثلاثة روايتان عن مالك هل ذلك واجب
ام مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الراي وروي عن ابي بكر الصديق
انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي مرة فقال ان لم يتب مكانه
قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعا الى الاسلام ثلث مرات فان ابى قتل وروي
عن علي رضي الله تعالى عنه يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري
ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلث مرات في ثلاثة
ايام او ثلث جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعا المرتد الى الاسلام
ثلث مرات فان ابا ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة
ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويوتى من الطعام
بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب
ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واي
المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله
اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد
وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب
عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحق
يقتل في الرابعة وقال اصحاب الراي ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة
وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن
المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب
مالك والشافعي والكوفي **فصل** هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع

فيهم

فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت
قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرا عنه
القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها
وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي
امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية
التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل
من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكاله وعائق
اقتضاه امره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى
الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من
رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله
بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب
الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى
امره القتل فعاق عائق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان
فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره
يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسالة
اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء
ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما
ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه
الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو
وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد
والله ولي الارشاد **فصل** هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض او استخف

بقذره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه
الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من
اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل
بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم
الآية ويستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه
ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما
لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا يقتلون لكفرهم
وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل
لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم
يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه
الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب
الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه
قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه
الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا
مخالفة الامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره
وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت سرايره وما ثبت
عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه
حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة
به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من
قبل اسلامه من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة

[margin:] اهل حرب

الكافر

الكافر اولى ه قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا من اهل الذمة او احدا من الانبياء عليهم السلام
قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون واصبغ
لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد اخبرنا
اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره من النبيين من
مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروي لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن
وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه
وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا
موسى او عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله تعالى اقرهم على مثله واما ان سبه فقال
ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله او نحو هذا فيقتل قال
ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من
القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا
الادب الموجع والسجن الطويل قال واما من شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شتما يعرف
فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل
قوله عندي ان اسلم طايعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي
يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر
من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت
عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا
فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز

لنا ذلك في قوله فاين كونك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن
الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل
ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم
فيه مما به كفروا فتامله ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى
ابو المصعب الزهري قال اوتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف
علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة
فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل
وقال ابن القاسم سالنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه
في الجنة ما له لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح الناس منه
قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم فيها ثم رايت انه لا يسعني
الصمت قال ابن كنانة في المبسوط من شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من اليهود والنصارى
فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه بالنار حيا
اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم المتقدمة قال فامرني
مالك فكتبت بان يقتل وان تضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب
ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه
ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق ٥ وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة
سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب
محمد في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها به قاله غير واحد من المتاخرين منهم
القابسي وابن الكاتب وقال ابن القاسم وابن الجلاب في كتابه من سب الله
ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب
روايتين في درء القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا
يسقط

يسقط عن الذمي اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق للعباد
كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم اسلم حد
القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو
القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد
ثمانين فتامله **فصل** في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغسله والصلاة
عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذهب سحنون
الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق
وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستترا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا
به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل
وهو منكر للشهادة عليه فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه
ليس من الميراث في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه
في ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى
التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن
وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن
الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن
سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب
مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا ترثه ورثته
من المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله اصبغ قتل
على ذلك او مات عليه ٥ وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي
يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف انه لا يورث ٥ وقال ابو محمد فيمن سب الله
تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة او لم تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم

في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو أعلن دينا مما يفارق
به الإسلام أن ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك أن ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه
ورثته ربيعة والشافعي وأبو ثور وابن أبي ليلى واختلف فيه عن أحمد وقال علي بن أبي
طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز
والحكم والأوزاعي والليث وإسحق وأبو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل
ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد فللمسلمين وتفصيل أبي الحسن
في باقي جوابه حسن بين وهو على رأي أصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قول
مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فأنكرها أو اعترف
بذلك وأظهر التوبة وقاله أصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من أصحابه لأنه مظهر للإسلام
بإنكاره أو توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد أن ميراثه لجماعة المسلمين لأن ماله تبع
لدمه وقال به أيضا جماعة من أصحابه وقاله أشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون
وذهب ابن قاسم في العتبية إلى أنه إن اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث
وإن لم يزل جاحدا حتى قتل أو مات ورث قال وكذلك كل من أسر كفرا فإنهم يتوارثون
بوراثة الإسلام وسئل أبو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم
فيقتل هل يرثه أهل دينه أم المسلمون فأجاب أنه للمسلمين ليس على جهة الميراث
لأنه لا توارث بين أهل ملتين ولكن لأنه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره

الباب الثالث

في حكم من سب الله تعالى وملائكته
وأنبيائه وكتبه وآل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأزواجه وصحبه ٥ لا خلاف أن ساب
الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط
وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب إسحق بن يحيى من سب الله

تعالى

تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب إلا أن يكون افتراء على الله بارتداده إلى دين دان به
وأظهره فيستتاب وإن لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك
مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب
وكذلك اليهودي والنصراني فإن تابوا قبل منهم وإن لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة
وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وأفتى أبو محمد بن أبي زيد
فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال إنما أردت أن ألعن الشيطان فزل
لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره وأما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور
واختلف فقهاء قرطبة في مسألة هرون بن حبيب أخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر
كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها أنه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي
هذا ما لو قتلت أبا بكر وعمر لم أستوجب هذا كله فأفتى إبراهيم بن حسين بن خالد بقتله
وأن مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وأفتى أخوه عبد الملك بن حبيب
وإبراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه إلا أن القاضي رأى عليه
التثقيل في الحبس والشدة في الأدب لاحتمال كلامه وصرفه إلى التشكي فوجه من قال في ساب
الله بالاستتابة أنه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فأشبه قصد الكفر بغير سب الله
وإظهار الانتقال إلى دين آخر من الأديان المخالفة للإسلام ووجه ترك استتابته
أنه لما ظهر منه ذلك بعد إظهار الإسلام قبل اتهمناه وظننا أن لسانه لم ينطق به إلا وهو معتقد
له إذ لا يتساهل في هذا أحد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته وإذا انتقل من دين إلى
آخر وأظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد أعلم أنه خلع ربقة الإسلام من عنقه بخلاف الأول
المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب أكثر العلماء وهو مذهب
مالك وأصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله

فصل وأما من أضاف
إلى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل

والاجتهاد والخطأ المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت لجارحة او نفي صفة
كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك
واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا
وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم
والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ
وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء
وبه فسر قول مالك في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في
القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء
من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتأويل
كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم
لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال
واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله له في المبسوط في الاباضية والقدرية
وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز
قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن
حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد
روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات
عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد
شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك
وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى
واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه شبه الله تعالى بنفسه وقال
فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا

ويحبس

ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال
القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري من ائمة العراقيين جوابه
مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلاة
خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن
قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن وقاله ابن
المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في
آخرين وهو من قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل
الاهواء المضلة واصحاب البدع المتأولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة
والشاكة في هذه الاصول وممن روي عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب
وابن عمر والحسن البصري وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث
الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم
في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية وسائر
اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان رأى الامام
قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل
ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في امر
الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة

فصل في تحقيق القول في اكفار المتأولين

قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه
مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء
والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير
اخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق
وعصاة ضلال ونورثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة

على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب ملك المغيرة وابن كنانة واشهب قال
لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول
بالتكفير او ضده واختلف قول ملك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة خلفهم
منه والى نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من
المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله
في المسئلة على نحو اضطراب قول امامه ملك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم
على رأي من كفرهم بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم
ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم
ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل
وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة
واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض
من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته لابي
محمد عبد الحق وكان سأله عن المسئلة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او
اخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير
في اهل التأويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطأ والخطأ في ترك الف كافر اهون
من الخطاء في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال صلى الله عليه وسلم فاذا قالوها
يعني الشهادة عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع
بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه
والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة للتأويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية
وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك
في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر

عنها

عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر
دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين والزوج
وغير معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج
هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او
قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم
بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين
وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ها هنا حد لا كفر
وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه
بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فان احتجوا
بقوله صلى الله عليه وسلم يقرؤن القران لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك
قوله يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على
فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء اجابه الآخرون ان
العبارة معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل
به جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله وان احتجوا
بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه
الامة ولم يقل من هذه وتحرير ابي سعيد الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الآخرون بان
العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم
من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من امتي
وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا ادخالهم
فيها بمن لكن ابا سعيد رحمه الله اجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على
سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية

خ
تبيل

هذه المذاهب المعروفة لأهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة
مضطربة سخيفة أقربها قول جهم ومحمد بن شبيب أن الكفر بالله الجهل به لا يكفر
أحد بغير ذلك وقال أبو الهذيل إن كل متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا
له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من أثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو
كافر وقال بعض المتكلمين إن كان ممن عرف الأصل وبنى عليه وكان فيما هو من أوصاف الله
فهو كافر ~~وذهب عبيد الله بن الحسن~~ وإن لم يكن من هذا الباب ففاسق إلا أن يكون ممن لم يعرف الأصل
فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري إلى تصويب أقوال المجتهدين في أصول الدين فيما
كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الأمة إذ أجمعوا سواه على أن الحق في أصول الدين
في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وإنما الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي أبو بكر الباقلاني
مثل قول عبيد الله عن داود الأصبهاني قال وحكى قوم عنهما أنهما قالا ذلك في كل من علم الله سبحانه
من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من أهل ملتنا أو من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ
وثمامة في أن كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا
حجة لله عليهم إذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا
المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر أحدا من النصارى
واليهود وكل من فارق دين الإسلام أو وقف في تكفيرهم أو شك قال القاضي أبو بكر
لأن التوقيف والإجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف أو شك
فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع إلا من كافر **فصل** في بيان ما هو من المقالات
كفر وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس
فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا أن كل مقالة صرحت
بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله أو مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية
وسائر فرق أصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية وأشباههم من الصابئين والنصارى
والمجوس

والمجوس والذين أشركوا بعبادة الأوثان أو الملائكة أو الشياطين أو الشمس أو
النجوم أو النار أو أحد غير الله من مشركي العرب وأهل الهند والصين والسودان
وغيرهم ممن لا يرجع إلى كتاب وكذلك القرامطة وأصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية
والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بإلهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد أنه غير
حي أو غير قديم وأنه محدث أو مصور أو ادعى له ولدا أو صاحبة أو والدا أو أنه متولد
من شيء أو كائن عنه أو أن معه في الأزل شيئا قديما غيره أو أن ثم صانعا للعالم سواه أو
مدبرا غيره فذلك كله كفر بإجماع المسلمين كقول الإلهيين من الفلاسفة والمنجمين
والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج إليه ومكالمته أو حلوله في أحد الأشخاص
كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال
بقدم العالم أو بقائه أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية أو قال بتناسخ
الأرواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص وتعذيبها أو تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها
وكذلك من اعترف بالإلهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من أصلها عموما أو نبوة
نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا أو أحد من الأنبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك
فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والأروسية من النصارى والغرابية
من الروافض الزاعمين أن عليا كان المبعوث إليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة الإسماعيلية
والعنبرية من الرافضة وإن كان بعض هؤلاء قد أشركوا في كفر آخر مع من قبلهم
وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز
على الأنبياء الكذب فيما أتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بإجماع
كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة فإن هؤلاء
زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور
الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها

وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن
مقالاتهم ابطال الشرايع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب
فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه
واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبيا
او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من
ذهب مذهب بعض القدما في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا او نبيا من القردة
والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ
ذلك يؤدي الى ان يوصف انبيا هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازرا على
هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر
من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم وبنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان اسود
او مات قبل ان يلتحي وليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه بغير
صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا صلى الله عليه
وسلم او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى العرب
وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة
علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند
هولا يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين بنبوة
بزيع وبيان واشباه هولا او من ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفا
القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان
لم يدع النبوة او انه يصعد الى السما او يدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين
فهولا كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عليه السلام انه خاتم
النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت

الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تاويل ولا
تخصيص فلا شك في كفر هولا الطوايف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع
على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على
ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او
وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل
مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال
قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة
بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم
يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهولا قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها
اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار
مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه اخر بسبهم النبي صلى الله عليه
وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي رضي الله عنه وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم
لعنة الله عليهم وصلى على رسوله واله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا
يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود
للصنم او للشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنايس والبيع مع اهلها بزيهم من
شد الزنانير وفحص الرووس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه
الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من
استحل القتل او شرب الخمر او الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من
القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع
وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ووقع الاجماع المتصل
عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا

في كتابه الصلوة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد
فيه في القران نص جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير من
قال من الخوارج ان الصلوة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض
اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض
المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة
كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام
او صفة الحج وقال الحج واجب في القران واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه
الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك ام
غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا
فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين فلا تجد
بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل
لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هو الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول
صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج
والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات
المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك وابان حدودها
فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث
وصحبة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن
التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط
فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله
به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقران وانحلت عرى الدين
كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القران او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه

كفعل

كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه
حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الضمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه
لرسوله صلى الله عليه وسلم ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما
بذلك القول وكذلك نكفرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه
وسلم حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القران به وكذلك من انكر
شيئا مما نص فيه القران بعد علمه انه من القران الذي في ايدي المسلمين ومصاحف المسلمين
ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا
بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقله فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب
للقران مكذب للنبي صلى الله عليه لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار
او البعث والحساب والقيامة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله
متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب
والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنية كقول النصارى والفلاسفة
والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيامة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة
الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في
قولهم ان الائمة افضل من الانبياء واما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير
والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار
غزوة تبوك او موتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان وخلافة علي مما علم بالنقل ضرورة
وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ
ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه
فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال

الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر
المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح
الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من
بعد ما تبين له الهدى الاية وقوله صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة
الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب آخرون الى الوقوف عن
القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص نقله العلماء وذهب آخرون الى التوقف في تكفير
من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع
السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله
هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا راي
الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا
يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من
الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلثة امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان ياتي
فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود
للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل
لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر
منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك
كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى
فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل
قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتاولين كما قدمناه فاما من جهل
صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء ههنا فكفره بعضهم وحكى ذلك عن ابي جعفر الطبري
وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان

والبه

واليه يرجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا
وشرعا وانما نكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هولاء بحديث السوداء وان النبي
صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لان قدر الله علي وفي
رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات
وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث بوجوه منها
ان قدر بمعنى قدر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم
الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك به حينئذ كفرا فاما
ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه
ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه
مما استولى عليه من الجزع والخشية التي اذهلت لبه فلم يواخذ به وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب
التي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم كقوله تعالى
لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف
ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولا كلام له وهكذا في سائر الصفات
على مذهب المعتزلة فمن قال بالمال لما يوديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره
لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده
بما ادى اليه قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق اهل التاويل من المشبهة والقدرية
وغيرهم ومن لم يواخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال
لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمال الذي الزمتموه
لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يوول اليه على ما اصلناه فعلى هذين الماخذين
اختلف الناس في اكفار اهل التاويل فاذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في
ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام

عليهم فى قصاصهم وورثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلوة عليهم ودفنهم فى مقابر
المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر
حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشاء على
زمن الصحابة وبعدهم فى التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر ورأى الخوارج والاعتزال
فما ازالوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب
والنفى والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند المحققين
واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن راى غير ذلك والله الموفق للصواب
قال القاضى ابو بكر واما مسائل الوعد والوعيد والروية والمخلوق وخلق الافعال وبقا
الاعراض والتولد وشبهها من الدقايق فالمنع فى اكفار المتاولين فيها اوضح اذ ليس فى
الجهل بشىء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها وقد
قدمنا فى الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف فى هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله
فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى واما الذمى فروى عن عبد الله بن عمر
فى ذمى تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف
فطلبه فهرب وقال ملك فى كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم فى المبسوط وكتاب
محمد وابن سحنون من شتم الله من اليهود والنصارى بغير الوجه الذى به كفروا قتل ولم
يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم قال فى المبسوطة طوعا قال اصبغ لان الوجه
الذى به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد واما
غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم فى كتاب محمد
ومن شتم من غير اهل الاديان الله تعالى بغير الوجه الذى ذكر فى كتابه قتل الا ان يسلم
وقال المخزومى فى المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابى حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما
كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول ملك وقال ابو محمد بن

ابى زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذى به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا
قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين فى
النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذى كفرت به لله والنبى واجماعهم على ذلك وهو
نحو القول الاخر فيمن سب النبى صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذى كفر به ولا فرق فى
ذلك بين سب الله به وسب نبيه صلى الله عليه وسلم لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا
شيئا من كفرهم والا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا منه شيئا فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء فى
الذمى اذا تزندق فقال ملك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر
وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا توخذ عليه جزية قال
ابن حبيب وما اعلم من قاله غيره فصل هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق
بجلاله والهيته فاما مفترى الكذب عليه تبارك وتعالى بادعا الالهية او الرسالة
او النافى ان يكون الله خالقه او ربه او قال ليس لى رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك
فى سكره او غمرة جنونه فلا خلاف فى كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه
لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم
من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن
العودة لكفره او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل
على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذى لا نامن باطنه ولا نقبل رجوعه
وحكم السكران فى ذلك حكم الصاحى واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك فى حال
غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك فى حال ميزه وان لم يكن
معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه كما يوذب على قبايح الافعال ويوالى
ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما توذب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق على بن
ابى طالب رضى الله عنه من ادعى له الالهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحرث

المتنبئ وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع علماء
وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر
من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول
بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا
في ابن ابي الغراقيد وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا ايام الراضي بالله وقاضي قضاة
بغداد يومئذ ابو الحسين ابن ابي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل
وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله تعالى خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو
مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد والعتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك
او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله اشهب في يهودي تنبأ وادعى انه رسول
الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد بن ابي زيد فيمن لعن
بارئه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على
القول الآخر من انه لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا الله
انا الله ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر
المتلاعبين فصل واما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه
واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشيا ببعض ما
عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر
والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر منه هذا وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة
ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب
الاستخفاف والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل
المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا الخراز يرش جلوده
وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد

توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي
حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم ربا عبدناه ثم لا ننتصر له
انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم
الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن
من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل
القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه من
ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر
مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم
رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه فناداه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على
وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل
يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله
وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة
فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها
لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة
واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب   رب العباد ما لنا وما لكا   قد كنت
تسقينا فما بدا لكا   انزل علينا الغيث   في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه
ثقاف تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره
والاغلاظ له عن العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله
منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر
اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض من ادركنا من مشايخنا
قلما يذكر الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما

يقول لجواب الله خشيا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان
الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته
اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله جل وعز وينزل الكلام في هذا الباب
تنزيله في باب سابّ النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والموفق
الله

فصل وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا
به وانكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم على مساق ما قدمناه قال الله تعالى
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله الاية وقال تعالى
قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم
وقال كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك في كتاب
ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن
شتم الانبياء او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم
وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي
به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة
سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله وملائكته قتل وقال سحنون من شتم
ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطا بالوحي
وانما كان النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون
وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي صلى الله عليه وسلم
اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من كذب باحد
من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ منه فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي
في الذي قال لاخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل
قال القاضي ابو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين

او على معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه
او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل
ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القران من الملائكة
ومن سمي فيه من الانبياء وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة
(المتفق)
على قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة
او من الانبياء كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم واسية
وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس والمورخون
نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم في من قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة
ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيهم لا سيما من عرفت صديقيته
وفضله منهم وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم وكون الاخر من الملائكة فان كان
المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام الناس
زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل
(وقد كره السلف الكلام في مثل هذا)
لاهل العلم فكيف للعامة

فصل واعلم ان من استخف بالقران او المصحف او بشيء
منه او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به
فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء
من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد
هشام بن احمد رحمه الله ثنا ابو علي ثنا ابن عبد البر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو
داود ثنا احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هارون ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القران كفر تؤول بمعنى الشك
وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد اية من كتاب

الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله
المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان
القران المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه
الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس انه كلام
الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان
من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل
عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القران عامدا لكل هذا
انه كافر ولهذا راى مالك قتل من سب عايشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف
القران ومن خالف القران قتل لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال
ان الله تعالى لم يكلم تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن
سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك
كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله لم يكلم موسى
تكليما وشهد اخر عليه انه قال ما اتخذ الله ابرهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب
النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد
متفقون ان الجحد بحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرا عنده رجل لم يقل له
ليس كما قرات ويقول اما انا فاقرا كذا فبلغ ذلك ابرهيم فقال اراه سمع انه من كفر
بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر باية من القران
فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القران فقد كذب به
كله ومن كذب به كله فقد كفر ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي
عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الاخر لعن الله التوراة فشهد عليه
بذلك شاهد ثم شهد اخر انه ساله عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود

فقال

فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التاويل
اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق
الشاهدان على لعن التوراة مجردا لضاق التاويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة
ابن شنبوذ المقرئ احد ايمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراته واقرائه
بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه
سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلث
وعشرين وثلثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى
ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال
اردت سوء الادب ولم ارد القران قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل
فصل وسب ال بيته وازواجه واصحابه عليه السلام وتنقصهم حرام
ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الحسين الصيرفي
وابو الفضل العدل ثنا ابو يعلى ثنا ابو علي السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا
محمد بن يحيى ثنا يعقوب بن ابرهيم ثنا عبيدة ابن ابي رايطة عن عبد الرحمن بن
زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله
الله في اصحابي الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد
اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فانه
يجي قوم في اخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا
تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه صلى الله عليه وسلم من سب

فلا تصلوا عليهم

اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم يوذيه واذى
النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا توذوني في اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني وقال
لا توذوني في عايشة وقال في فاطمة بضعة مني يوذيني ما اذاها وقد اختلف
العلماء في هذا فمشهور مذهب ملك في ذلك الاجتهاد والادب الموجع

ملك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب
وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان
او معوية او عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير
هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا
بن حبيب من غلو من الشيعة
الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر فالعقوبة
عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي
صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون من قال
في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من
الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن ملك من سب ابا بكر جلد ومن سب
عايشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القران وقال ابن شعبان عنه
لان الله يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين فمن عاد لمثله
فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى
اذا ذكر في القران ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه لنفسه لقوله وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في اي كثيره وذكر ما نسبه المنافقون الى عايشة
فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه في
تبريتها من السوء كما سبح نفسه في تبريته من السوء وهذا يشهد لقول ملك

في قتل من سب عايشة ومعنى هذا والله اعلم ان الله لما عظم سبها كما عظم
سبه وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه واذاه باذاه تعالى وكان حكم موذيه
تعالى القتل كان موذي نبيه كذلك كما قدمناه وشتم رجل عايشة بالكوفة
فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين
وحلق راسه واسلمه الى الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان عبيد الله
بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد
بعد اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب
اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتموه قال ملك من ينتقص
احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفي حق قد قسم الله
الفي في ثلثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم قال والذين تبوؤا الدار
والايمان من قبلهم الاية وهؤلاء الانصار ثم قال والذين جاؤا من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم
فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب بن شعبان من قال في واحد منهم انه ابن
زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا
اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله صلى الله عليه وسلم
من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية
لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا
فمن قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق
غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد
عليه كان ولي القيام به قال ومن سب غير عايشة من ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم

بسبّ حليلته والأخرى أنها كسائر الصحابة يجلد حدّ المفتري قال وبالأول أقول وروى
أبو مصعب عن مالك من انتسب إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر
ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لأنه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم وأفتى [في الهامش: أستخفاف صح]
أبو المطرف <u>ذكر هذا لابنة</u> الشعبي فقيه مالقة في رجل أنكر تحليف امرأة بالليل وقال
لو كانت بنت أبي بكر الصديق ما حلفت إلا بالنهار وصوّب قوله بعض المتسمين بالفقه
فقال أبو المطرف ذكر هذا لابنة أبي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن
الطويل والفقيه الذي صوّب قوله هو أحق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم إليه
في ذلك ويؤخر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله

فصل قال القاضي أبو الفضل هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض
الذي انتحيناه واستوفى الشرط الذي شرطناه مما أرجو أن في كل قسم منه
للمريد مقنع وفي كل باب منهج إلى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب
وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في أكثر التصانيف مشرع
وأودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه أو مقتدي يفيدنيه
عن كتابه أو فيه لأكتفي بما أرويه عما أرويه وإلى الله تعالى جزيل الضراعة في
المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره وأن يهب لنا
ذلك بجميل كرمه وعفوه لما أودعناه من شرف مصطفاه وأمين وحيه وأسهرنا به
جفوننا لتتبع فضائله وأعملنا فيه خواطرنا من إبراز خصائصه ووسائله ويحمي
أعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد إذا ذيد المبدل
عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا بأسبابه
وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه
وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصي زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا في الرعيل

الأول

الأول وأهل الباب الأيمن من أهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى إليه من جمعه
وألهم وفتح البصيرة لدرك حقائق ما أودعناه وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعاء
لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب من أمله ولا ينتصر من خذله
ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته
على سيدنا ونبينا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا

والحمد لله رب العالمين كمل جميع كتاب الشفا في شرف المصطفى صلى الله عليه
وسلم والحمد لله حق حمده وصلواته على نبينا محمد خيرته من خلقه وعلى أهله
وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل